

مكونات الدولة المعنوية والمادية في قصة سليمان القرآنية من خلال سورة النمل

علي محمد علوان (*)

محمد أبوبكر عبد الرحمن

الولي محمد محمود الشنقيطي

الملخص: يتناول البحث المكونات المعنوية والمادية للدولة في قصة سليمان عليه السلام من خلال سورة النمل؛ وهي: الدعوة، العقيدة، العلم، الشورى، القوة، الأشخاص والأشياء. وتتمثل مشكلة البحث في الإجابة على ما هي المكونات المعنوية والمادية المطلوبة في تأسيس الدولة من حيث الرؤية الإسلامية من خلال قصة سليمان عليه السلام. ولتحقيق ذلك تم استخدام المنهج التحليلي والاستقرائي وذلك لأهمية هذا المنهج في إبراز المكونات المعنوية والمادية لتأسيس الدولة في الإسلام، الأمر الذي يكشف عن أهمية هذا البحث في إبراز المكونات المعنوية والمادية من خلال النظر في القصص القرآني، مع التأكيد على المواصفات التي يطلبها الإسلام في قائد الدولة لإصلاح الرعية، مستهدفاً التركيز على بعض آيات القصص القرآني لاستخراج المكونات المطلوبة عند علماء الشريعة الإسلامية، مع الإمام ببعض المصطلحات المتعلقة بالمكونات كالقيادة والسلطة والقوة والتنظيم والدعوة والمهمة في توجيه حياة الناس. خلص البحث إلى أن كل ما يتعلق بمكونات الدولة وتأسيسها توجد في القصص القرآني مع إمكانية تجديد الفكر في مجال المكونات المعنوية والمادية من خلال تجديد الفكر السياسي الإسلامي في باب الأحكام السلطانية. كما خلص البحث إلى نتائج مهمة؛ منها: أن الكتابة في مجال المكونات المعنوية والمادية للدولة في السياسة الشرعية يجب النظر إليها من خلال آيات القصص القرآني لاستخراج المكونات المطلوبة للدولة، كما يجب الاعتماد على الآيات التي تناولت سير الأنبياء والمرسلين والصالحين الذين تمثلت فيهم المهارات القيادية للرجل الأول في الدولة.

الكلمات المفتاحية: الدعوة، القوة، الشورى، التنظيم

The Spiritual and Physical Components of State Through Suleiman (Puh) Quranic Story: Applied Study on Surat An-Naml

Ali Mohammad Alwan
Mohammad A. Abdulrahman
Alweli M. M. Elshingeety

Abstract: The research tackled the spiritual and physical components of state through Suleiman (puh) Quranic story (applied study on Surat An-Naml (The Ant)). The problem of this research is to answer the following question: What are the spiritual and physical components to establish the state from the Islamic vision according to the story of Suleiman (puh) in the Holly Quran. The researchers answered this question by utilizing the analytic and inductive methods, and by following the descriptive method tools due to its importance in highlighting essential spiritual and physical components of the state in Islam, which reveals the importance of this research in demonstrating the spiritual and physical components regarding the stories of Holly Quran. The research also highlighted some Quranic verses that featured the components above mentioned, beside other terms relative to it like: Leadership, Power, Organization, Dawah, and mutual consultation. The research pointed out that everything has a relation to the spiritual and physical components of the state are existed in the Quran stories with the potentiality of renewal of thought in the field of the spiritual and physical components through the renewal of Islamic political thought.

Keywords: Power, Authority, Consultation, Science, Faith

(*) قسم الشريعة والدراسات الإسلامية، كلية العلوم والتربية، جامعة الطائف، profalwan5@gmail.com

المقدمة:

تمثل مكونات الدولة المعنوية والمادية القاعدة التي ينبغي أن ينظر إليها قادة الدول كأسس ومقومات لا بد منها في تأسيس الدولة واستمرارها، ويمثل سليمان عليه السلام أحد نماذج القيادة الإسلامية الفذة في بناء دولة الحضارة والتقدم التي تلتزم جانب العقيدة الصحيحة والشريعة الحنيفة والخلق الرفيع، فإنه عليه السلام قد أوتي الملك والنبوة والعلم والحكمة. فكان حرياً أن يبحث في هذه المقومات والمكونات في سياق قصته التي حكاها القرآن لاستخراج المكونات وتحليلها.

أسباب اختيار الموضوع:

- ١- لاعتبار أن الموضوع تتناوله قصة من قصص القرآن الكريم، والقرآن يحثنا على التدبر والتفكير لاستنباط العبر والفكر ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].
- ٢- مكونات الدولة من الأسس الهامة في السياسة الشرعية ذات العلاقة بالتمكين للحكم الرشيد. وهو ما يبحث عنه المسلمون اليوم ويحتاجونه في كافة بلدانهم.
- ٣- القرآن مصدر الفكر القويم، ودليل العمل السليم، في إقامة الدول على منهاج النبوة، ومراد الله عز وجل، وهو مورد الحياة الطيبة للأفراد والشعوب.
- ٤- هل يمكن استخراج مكونات الدولة المعنوية والمادية من خلال النظر في آيات القرآن الكريم خاصة القصص القرآني وهو ما تبحث عنه البشرية خلال مسيرتها السياسية قديماً وحديثاً؟.

أهداف البحث:

- ١- إعمال النظر والفكر في آيات القصص القرآني لاستنباط مكونات الدولة المعنوية والمادية عند علماء السياسة الشرعية.
- ٢- الإلمام بالمفاهيم المتعلقة بالدولة كالإمارة والسلطان والشورى والتنظيم في توجيه الرعية لتنسجم مع معطيات العبودية لله رب العالمين.
- ٣- إمكانية تجديد الفكر المعلق بالدولة وسياستها في الإسلام بما يتوافق مع مطالب الحياة المعاصرة.
- ٤- الوقوف على بدیع النظم وجمال التأليف في كتاب الله تعالى في مجال قصة سليمان عليه السلام من خلال سورة النمل.

أهمية البحث:

- ١- يساهم البحث في تطوير الفكر الإسلامي في مجال المكونات المعنوية والمادية للدولة باعتبار أنها مقومات لا بد منها في تأسيس الدولة واستمرارها.
- ٢- يلفت البحث أنظار الباحثين في مجال السياسة الشرعية إلى التركيز على آيات القصص القرآني لاستنباط الأحكام السلطانية ذات الصلة بمفهوم الدولة حديثاً.
- ٣- انفردت سورة النمل بالحديث عن ملك سليمان عليه السلام وكيف أنه أسس دولة بالمكونات الأساسية التي تصلح أن تكون نموذجاً لأي دولة أخرى تستند على شرع الله تعالى.

مشكلة البحث:

- ١- ما هي المكونات المعنوية والمادية المطلوبة في تأسيس الدولة من حيث الرؤية الإسلامية من خلال قصة سليمان عليه السلام؟.
- ٢- كيف تأتلف هذه المكونات لتنتج دولة الدعوة والعدل والرفاه؟.
- ٣- ما هي أسس استقرار وتفوق الدولة الإسلامية استناداً على قصة سليمان عليه السلام في القرآن الكريم؟.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج التحليلي والاستقرائي.

حدود البحث:

يقتصر البحث على الآيات التي تناولت قصة سليمان عليه السلام في القرآن الكريم من خلال سورة النمل من الآية (١٦) إلى الآية (٤٤)، ويستشهد بالآيات المتفرقة التي وردت في سور القرآن الأخرى في ذات الشأن.

تمهيد

تعتبر دعوة داود وسليمان عليهما السلام امتداداً لدعوات أنبياء بني إسرائيل ممن جاؤوا بعد موسى عليه السلام. ولدعوة داود وسليمان عليهما السلام في القرآن الكريم سمات متميزة، تلتقي مع سائر دعوات الأنبياء عليهم السلام في وجوه وتنفرد في وجوه. ولعل أبرز الوجوه التي تنفرد بها دعوة هذين النبيين الكريمين هو: التمكين لدعوتهما، إذ جمع الله تعالى لهما النبوة والملك: الشريعة الحافزة والسلطة الوازنة. ومن ثم لا ترى مقاومة ولا تكذيباً ويختفي في دعوتهما صلف (الملا) واستكبارهم وعتوهم. وفي سورة النمل تضمنت قصة سليمان عليه السلام الكثير من معجزاته، كما حوت الكثير من أسس الحكم والقضاء والحسبة والتربية والأخلاق. وإلى جانب هذا وذاك اشتملت على مناهج الدعوة وأساليبها وأهدافها. ويقف المتأمل في قصة سليمان على الملك الوطيد، والجاه العريض، وقبلهما النبوة والحكمة، ويرى الشخصية المطمئنة بذكر الله تعالى المنبئة إليه الشاكرة لآلائه ونعمائه، التي تسخر الملك والسلطان لإبلاغ دين الله عز وجل وإقامة الحجة على العالمين. وعليه فإن المتدبر لقصة سيدنا سليمان عليه السلام في سورة النمل يجد مكونات الدولة التي اجتمعت عنده من العدد والآلات والجنود والجيوش والجماعات من الجن والإنس والطيور والوحوش من الشياطين السارحات والعلوم والفهوم والتعبير عن ضمائر المخلوقات من الناطقات والصامتات.

المبحث الأول: مفهوم الدولة**المطلب الأول: الدولة في اللغة والاصطلاح:****أولاً: الدولة في اللغة:**

ورد لفظ الدولة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿كَي لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر: ٧]، وبضم الدال من (دولة) قرأ جميع قراء الأمصار، غير أنه حكي عن أبي عبد الرحمن السلمي الفتح فيها^١. وقد اختلف أهل التفسير واللغة في معنى الدولة، في حال ضُمت أو فُتحت؛ فقال بعض الكوفيين: إذا فتحت الدولة تكون للجيش يهزم هذا هذا، ثم يهزم الهازم، فيقال: قد رجعت الدولة على هؤلاء. قال: والدولة برفع الدال في الملك والسنين التي تغير وتبدل على الدهر، فتلك الدولة والدول. وقال بعضهم: فرق ما بين الضم والفتح أن الدولة: هي اسم الشيء الذي يتداول بعينه والدولة الفعل^٢. وقد اشتهر استعمال مفهوم الدولة في اللغة للدلالة على معنيين متقاربين: قال الكسائي: "الدولة في المال يتداوله القوم بينهم، والدولة في الحرب، وقال عيسى بن عمر: يكونان جميعاً في المال والحرب سواء"^٣. وقال الجوهرى: الدولة في الحرب: أن تدار إحدى الفتنين على الأخرى؛ يقال:

^١ الطبري؛ محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ج ٢٣، ص ٢٧٩.

^٢ المصدر السابق، ج ٢٣، ص ٢٧٩. بتصرف.

^٣ ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن أسحق، إصلاح المنطق، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٣٥.

كانت لنا عليهم الدولة، والجمع الدول، والدولة بالضم في المال؛ يقال: صار الفيء دولة بينهم يتداولونه يكون مرة لهذا ومرة لهذا والجمع دولاً ودُولٌ.^٤

وقال أبو عبيد: الدولة بالضم: اسم الشيء الذي يتداول به بعينه، والدولة بالفتح: الفعل. وقال بعضهم: الدولة والدولة لغتان بمعنى: وأدالنا الله من عدونا من الدولة. الإدالة: الغلبة. يقال: اللهم أدلني على فلان وانصرني عليه. وتداولته الأيدي، أي أخذته هذه مرة وهذه مرة. وقولهم: دَوَالِيكَ أي تداول بعد تداول.^٥ وقد أدلته وتداولنا الأمر: أخذناه بالدول.^٦

وقيل: الدولة بفتح المهملة: بمعنى الإدالة وهي الغلبة.^٧ وقال ابن منظور: الدولة الانتقال من حال الشدة إلى الرخاء. ومنه حديث أبي سفيان وهرقل: ندال عليه ويُدال علينا، أي نغلبه مرة ويغلبنا مرة.^٨ وقال الحجاج: إن الأرض ستدال منا كما أدلنا منها، أي نكون في بطنها كما كنا على ظهرها.^٩ وقال أيضاً: يوشك أن تدال الأرض منا كما أدلنا منها، أي يجعل لها الكرة والدولة علينا فتأكل لحومنا كما أكلنا ثمارها وتشرب دماءنا كما شربنا مياهها. وتداولنا الأمر: أخذناه بالدول.^{١٠}

يتضح من التعريفات اللغوية السابقة أن كلمة دولة لا تخرج عن أحد معنيين؛ المعنى الأول مرتبط بالاستخدام الذي ورد في القرآن الكريم، وحيث استخدمت كلمة دولة (بضم الدال) للإشارة إلى الهيمنة الاقتصادية لفئة على فئة أخرى، بينما يرتبط المعنى الثاني بالاستخدام الذي أصبح شائعاً في فترة لاحقة عندما استخدمت كلمة دولة (بفتح الدال) للإشارة إلى الهيمنة السياسية والعسكرية لفئة من فئات المجتمع على الفئات الأخرى. ويتضح الرابط بين المعنيين عند ملاحظة عدم انفكاك الهيمنة الاقتصادية عن الهيمنة السياسية في الغالب.^{١١}

ثانياً: الدولة في الاصطلاح:

يعرف فقهاء القانون الدستوري الدولة بتعريفات عديدة؛ منها التعريفات التالية:

" الدولة وحدة قانونية دائمة، تتضمن وجود هيئة اجتماعية لها حق ممارسة سلطات قانونية معينة، في مواجهة أمة مستقرة على إقليم محدد، وتباشر الدولة حقوق السيادة بإرادتها المنفردة وعن طريق استخدام القوة المادية التي تحتكرها".^{١٢}

وعرفها محمد يوسف موسى: "بأنها جماعة من الناس تقيم دائماً في إقليم معين، ولها شخصيتها المعنوية، ونظامها الذي تخضع له، ولحكامها، واستقلالها السياسي".^{١٣}

ويتفق الفقهاء على أن " الدولة في الفكر القانوني الحديث لا تقوم دون توافر ثلاثة أركان على الأقل؛ هي: الشعب والإقليم والسلطة".^{١٤}

وتعتبر الدولة القومية المعروفة بشكلها الحالي نتاجاً حديثاً ظهر في بداية العصور الحديثة (في القرن السادس عشر) وجاء كرد فعل للتفاعلات السياسية الناتجة عن الاستبداد في الحكم، وعن توزيع السلطة في العصور الوسطى في أوروبا في أيدي أقاليم ارستقراطية تميز نظامها بتقوية سلطة الملك أو الحاكم بشكل عام.

وتختلف الدولة القومية عن الدولة الإسلامية في شكلها ونظامها ودستورها ومصدر السلطات فيها. وتتفق معها في أركانها الأساسية المتفق عليها: الإقليم، الشعب، والسلطة.

^٤ الجوهري، الحسن بن علي بن محمد، الصحاح في اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ج١، ص٢١٨.

^٥ المصدر السابق، ص٢١٨.

^٦ ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي، المخصص، دار الكتب العلمية، القاهرة، دت، ج١، ص٢٧٧.

^٧ المصدر السابق، ص٢٧٧.

^٨ ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥، ج١١، ص٢٥٢.

^٩ الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، دار الفكر العربي، بيروت، دت، ج٢، ص١٢٦.

^{١٠} ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج١١، ص٢٥٢.

^{١١} لؤي صافي، العقيدة والسياسة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن (الولايات المتحدة)، ١٩٩٦م، ص١١٨.

^{١٢} محمد كامل ليلة، المبادئ الدستورية العامة والنظم السياسية، دار الفكر العربي، القاهرة، دت، ص٢٢٣.

^{١٣} محمد يوسف موسى، نظام الحكم في الإسلام، الدار الحديثة للكتب، بيروت، دت، ص١٧.

^{١٤} صلاح عبد البديع شلبي، إقليم الدولة في الفكر الإسلامي والقانون الدولي، الدار العلمية للكتب، القاهرة، ط١، ١٩٧٦، ص١٥.

ثالثاً: مفهوم الدولة الإسلامية:

مفهوم الدولة الإسلامية لم يأخذ مفهومه السياسي المحدد في الأدبيات السياسية الإسلامية إلا بعد مرور قرون عديدة على قيام المجتمع الإسلامي الأول. فقد استخدم علماء المسلمين الأوائل مصطلح دار الإسلام أو الأمصار للإشارة إلى الأقاليم التابعة للسلطة الإسلامية كما استخدموا مصطلحات الخلافة أو الإمامة أو الولاية للدلالة على الهيئات السياسية المركزية للأمة.^{١٥}

دار الإسلام هو المصطلح الشائع في كتابات المؤرخين قديماً، وكان يؤدي معنى الدولة الإسلامية بالمفهوم المعروف اليوم، ودار الإسلام هي الدار التي تجري فيها أحكام الإسلام ويأمن من فيها بأمان المسلمين سواء كانوا مسلمين أم ذميين، وقد استعمل مصطلح دار الإسلام في مقابل مصطلح دار الحرب وهي الدار التي لا تجري فيها أحكام المسلمين^{١٦}. ثم فيما بعد استبدل مصطلح "دار الإسلام" ومصطلح "دار الحرب" بمصطلح الدولة. وهذا هو السبب في كون مفهوم الدولة لم يضبط انضباطاً دقيقاً حتى منتصف القرن الثامن الهجري عندما استطاع عبد الرحمن بن خلدون أن يطور مفهوم الدولة من خلال دراسة القاعدة الاجتماعية التي تركز عليها السلطة في المجتمعات السياسية المعاصرة له والمتقدمة عليه^{١٧}. وهذه القاعدة الاجتماعية حسبه هي العصبية. ثم إن تعريف الدولة تطور بشكل كبير في العصر الحديث تأثر بشكل بالغ بالتجربة الأوروبية والتصور السياسي الغربي.

ولما كان تبني هذا التعريف المنبني على التصور والتجربة السياسية الغربية يؤدي إلى نتيجتين خطيرتين: الأولى: التسليم بشرعية التقسيم الحالي للمناطق الإسلامية، وبالتالي: قبول الخريطة السياسية التي تكرر مركزية الغرب وتبعية المناطق الإسلامية^{١٨}، اجتهد المفكرون الإسلاميون في وضع تعاريف وحدود تميز الدولة الإسلامية عن غيرها من الدول. فنجد أبا الأعلى المودودي يركز على مبدأ السيادة والحاكمية في تعريفه للدولة الإسلامية لأن الحاكمية بكل معنى من معانيها لله تعالى وحده، فإنه هو الحاكم الحقيقي^{١٩}. فالدولة الإسلامية —عنده— هي الدولة التي تتعلق الحاكمية فيها بالله تعالى. وليخرج من الإشكال التاريخي الذي طرحه مفهوم الحاكمية لدى الخوارج، فهو يميز بين الحاكمية القانونية والحاكمية السياسية، فالحاكمية القانونية تتعلق بحق الله في التشريع للناس بينما تتعلق الحاكمية السياسية بتنفيذ الأحكام الإلهية، والحاكمية القانونية خارجة عن نطاق الفعل الإنساني في حين يمارس البشر الحاكمية التنفيذية نيابة عن الله عز وجل^{٢٠}.

إن مبدأ الحاكمية القانونية حسب المودودي هو الذي يميز الدولة الإسلامية عن غيرها. ويرى حسن السيد بسيوني "أن الدولة الإسلامية دولة قانونية تقوم على التشريع الإسلامي وتهتدي به في أمور الدين والدنيا"^{٢١}، ويرى في هذه القانونية السمة المميزة لها؛ يقول: "تتسم الدولة الإسلامية بأنها دولة قانونية إذ يسود فيها أحكام الشرع الإسلامي والذي يستمد مصادره من القرآن الكريم وباعتباره الدستور الأعلى الذي يبين الحقوق ويحدد الواجبات ويرسم للدولة القواعد الكلية والمبادئ العامة التي تنظم شؤون الأفراد وتأتي السنة كمصدر تال له"^{٢٢}. هذه الدولة القانونية يخضع الجميع فيها حكماً ومحكومين لأحكام التشريع الإسلامي، وبهذا فهي أسبق الدول قاطبة في التمتع بهذه السمة وتلك الخاصية^{٢٣}. ومن مبدأ القانونية هذا تستمد الدولة مشروعيتها السياسية وشرعيتها الإسلامية.

^{١٥} لؤي صافي، مرجع سابق، ص ١١٧.^{١٦} عبد الكريم زيدان، أحكام الذميين والمستأمنين، دار ابن بيضون، القاهرة، ط١، ١٩٨٠، ص ١٩.^{١٧} لؤي صافي، مرجع سابق، ص ١١٨.^{١٨} المرجع السابق، ص ١٢١.^{١٩} أبو الأعلى المودودي، نظرية الإسلام وهدية في السياسة والقانون والدستور، دار صادر، بيروت، دت، ص ٢١١.^{٢٠} المرجع السابق، بتصرف، ص ٢١١.^{٢١} حسن السيد بسيوني، الدولة ونظام الحكم في الإسلام، الدار العلمية للكتب، القاهرة، دت، ص ١٠٠.^{٢٢} المرجع السابق، ص ٣٩.^{٢٣} المرجع السابق، بتصرف، ص ٣٩.

إن التركيز على مبدأ القانونية والشرعية ومنظومة المبادئ الإسلامية في تعريف الدولة الإسلامية لا يلغي بحال من الأحوال أركان الدولة: الإقليم، الشعب، والسلطة التي ينص عليها القانون الدستوري، فالدولة الإسلامية تضمنتها منذ نشأتها الأولى، وهذا ما يؤكد محمد يوسف موسى حين يقول: "إنه باستقرار الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم في المدينة واتخاذها وطناً لهم ومقاماً دائماً، تم للعرب والمسلمين إقامة دولة لها أركانها ومقوماتها يشير القرآن والسنة إلى وجوب قيامها وينطبق عليها التعريف القانوني للدولة. دولة لها إمامها ورئيسها الذي يخضع له المسلمون جميعاً على اختلافهم في الأصول والأجناس والألوان"^{٢٤}.

المطلب الثاني: المفاهيم المتعلقة بالدولة:

- أ- **الحكومة:** ينبغي التمييز بين الدولة والحكومة رغم أن المفهومين يستخدمان بالتناوب كمترادفات في كثير من الأحيان. فمفهوم الدولة أكثر اتساعاً من الحكومة حيث أن الدولة كيان شامل يتضمن جميع مؤسسات المجال العام، وكل أعضاء المجتمع بوصفهم مواطنين ورعايا الدولة، وهو ما يعني أن الحكومة ليست إلا جزءاً من الدولة. أي أن الحكومة هي الوسيلة أو الآلية التي تؤدي من خلالها الدولة سلطتها، وهي بمثابة عقل الدولة. إلا أن الدولة كيان أكثر ديمومة مقارنة بالحكومة المؤقتة بطبيعتها: حيث يفترض أن تتعاقب الحكومات، وقد يتعرض نظام الحكم للتغيير أو التعديل مع استمرار النظام الأوسع والأكثر استقراراً ودواماً الذي تمثله الدولة. كما أن السلطة التي تمارسها الدولة هي سلطة مجردة غير مشخصة: بمعنى أن الأسلوب البيروقراطي في اختيار موظفي هيئات الدولة وتدريبهم يفترض عادة أن يجعلهم محايدين سياسياً تحصيلاً لهم من التقلبات الأيديولوجية الناجمة عن تغير الحكومات.
- ب- **الدستور:** هو مجموعة من القواعد القانونية التي تحدد نظام وشكل الحكم في الدولة وينظم السلطات الثلاث وهي السلطة التشريعية والقضائية والتنفيذية، ويحدد اختصاص هذه السلطات الثلاث، ويبين الدستور حقوق الأفراد وواجباتهم، وينبثق عن الدستور مجموعة من القوانين والأنظمة لتنفيذ مواده.
- ج- **الأمّة:** كل جماعة يجمعهم أمر ما إما دين واحد أو زمان واحد أو مكان واحد. سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخييراً أو اختياراً، جمعها أمم. وفي القرآن الكريم الأمة هي الجماعة التي تجتمع على دين واحد أو تلك الجماعة التي تعارفت و انتسبت واختلفت في أشكالها وألوانها ولكنها بقيت واحدة في إيمانها وأهدافها وعبادتها وتوحيدها بحيث يكو الاختلاف والانتساب عوناً لها على تحقيق الوحدة^{٢٥}؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾ [المؤمنون: ٥٢].
- د- **الخلافة:** هي رئاسة عامة للمسلمين جميعاً في الدنيا لإقامة أحكام الشرع الإسلامي وحمل الدعوة الإسلامية إلى العالم، وهي عينها الإمامة، فإن الخلافة الاصطلاح الإسلامي تعني القيادة الإسلامية أو الإمامة فقط. ومن هنا يُعلم أن مصطلح الإمامة يرادف مصطلح الخلافة. يقول أبو الحسن الماوردي: "الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا"^{٢٦}. وسميت خلافة لأن الذي يتولاها يكون الحاكم الأعظم للمسلمين ويخلف النبي ﷺ في إدارة شؤونهم الدينية والدنيوية.

^{٢٤} محمد يوسف موسى، مرجع سابق، ص ١٨.

^{٢٥} الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، دت، ص ٢٧.

^{٢٦} الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، ص ٥.

المبحث الثاني: دعوة سليمان عليه السلام المطلب الأول: اسمه ونسبه ووراثته الملك: أولاً: اسمه ونسبه:

قال الحافظ ابن عساكر: هو سليمان بن داود بن إيشا بن عويد بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عمناذب بن إرم بن حضرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، نبي الله بن نبي الله.^{٢٧}
ثانياً: وراثته سليمان داود في النبوة والملك:

قال الله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِّمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦]، أي: ورثه في النبوة والملك، وليس المراد ورثه في المال، لأنه قد كان له بنون غيره، فما كان ليخص بالمال دونهم، ولأنه قد ثبت في الصحاح من غير وجه عن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال: (لا نورث ما تركنا فهو صدقة)، وفي لفظ: (إنا معاشر الأنبياء لا نورث).

وقد منحه الله تعالى منذ صباه الذكاء والحكمة وحسن القضاء، فقد كان أبوه داود عليه السلام يشاوره في أموره -في أيام ملكه- مع حداثة سنه لحكمته وفطنته.

قال ابن كثير في قول سليمان: ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾^{٢٨} أي: (كل ما يحتاج الملك إليه من والآلات والجنود والجيوش والجماعات من الجن والإنس والطيور والوحوش من الشياطين السارحات، والعلوم والفهوم، والتعبير عن ضمائر المخلوقات من الناطقات والصامتات)^{٢٨}.

المطلب الثاني: دعوة سليمان عليه السلام:

يقف المتأمل في قصة سليمان عليه السلام على الملك والوطيد، والجاه العريض، وقبلهما النبوة والحكمة، ويرى الشخصية المؤمنة المطمئنة بذكر الله تعالى المنبئة إليه، الشاكرة لآلائه ونعمائه، التي تسخر الملك والسلطان لإبلاغ دين الله تعالى وإقامة الحجة على العالمين.

ومن خصائص دعوة سليمان عليه السلام أنها تتميز بطابع القوة الحسية والمعنوية في العلم والتمكين وأسلوب القيادة والجنود والأتباع واجتماع هذه الأمور في دعوة سليمان ودولته أنشأ ما يعرف اليوم (بالحضارة) أو الرقي والمدنية.^{٢٩}

ومن يتأمل الآيات البيّنات الكاشفة عن حياة سليمان عليه السلام في هذه السورة يجد أنه استخدم قوة التأثير الحضاري المتمثلة في العلم لدعوة ملكة سبأ إلى الإسلام. وكانت من أهداف دعوته الكبرى إسلام ملكة سبأ لله رب العالمين. ونجد أن سليمان عليه السلام تدرج في استخدام الأسلوب العلمي لدعوة هذه الملكة، فهو أولاً: راسل الملكة بأسلوب رفيع؛ قال تعالى على لسان سليمان يوجه الهدهد:

﴿أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: ٢٨]، فالمهمة المطلوبة

من الهدهد هي الذهاب والصدوع بالأمر وإبلاغ الناس دين الله تعالى، وليس يضطلع بهذه المهمة الجليلة إلا الأماثل من الأمة ممن جمع بين الدراية العلمية والمقدرة النفسية والاستعداد الخلقي^{٣٠}. قال الشوكاني: "وخص الهدهد بإرساله بالكتاب لأنه المخبر بالقصة ولكونه رأى منه من مخايل الفهم والعلم ما يقتضي كونه أهلاً للرسالة"^{٣١}. كما تميز الأسلوب في دعوة ملكة سبأ بالقوة في

^{٢٧} ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٨٤، ج١٠، ص ١١٧.

^{٢٨} ابن كثير؛ أبو الفداء إسماعيل بن عمر، قصص الأنبياء، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص ٣٩٠.

^{٢٩} عبد الرب نواب الدين آل نواب، الدعوة إلى الله تعالى، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ص ٢٢٠.

^{٣٠} المرجع السابق، ص ٢١٨.

^{٣١} الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، دار الفكر العربي، بيروت، دت، ج٤، ص ١٣٦.

عرض الموضوع والاختصار من غير إخلال، وذلك أوفى في إيصال موضوع الدعوة الرحيب بلفظ يسير، وهو أدل على المراد. والتزم الخطاب بالآداب الإسلامية حتى وصفته الملكة بأنه كتاب كريم. يدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ

وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٢٩ - ٣١].

وثانياً: فيما يتعلق باستخدام الأسلوب العلمي في الدعوة أن سليمان عليه السلام رد الهدية التي بعثت بها الملكة إليه، ليعرفها أن مقام الدعوة أسمى من أن يساوم بثمن بخس أو عرض من الدنيا زائل، بل يجب على الداعي إخراج الناس من حمأة المادية الجامحة وجحيم الشهوات الزائلة إلى نور التوحيد ومشكاة الإيمان، وجاء في معرض الرد: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا

آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِحِدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النمل: ٣٦]، واقترن مع ذلك التهديد: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٧].

ومن جهة أخرى فإن سليمان عليه السلام استخدم القوة في دعوته لملكة سبأ، فقد قال الله تعالى على لسان سليمان عليه السلام: ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾

[النمل: ٣٧]. وجنود سليمان عليه السلام من الجن والإنس والطير سخرهم الله تعالى له لخدمة الدعوة؛ قال تعالى: ﴿وَخَشَرٌ لِّسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧]، وقال على

لسان النملة: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطُمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨]. ويلمح الناظر في سياق الآية السابقة: أولاً: التنظيم الدقيق في جيش

سليمان عليه السلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿حُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ﴾، أي: يساقون ويدفعون ويحبسون ويجمعون لا يتخلف منهم أحد^{٣٢}. وثانياً: الكثرة المربعة: وذلك في قوله تعالى: ﴿مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ﴾. وثالثاً: اتسام الجنود بالنزاهة والحيطة والعدل؛ وذلك في قول النملة: ﴿لَا يَحْطُمَنَّكُمْ

سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨]، قال الزركشي: (وفي قوله (وهم لا يشعرون) احتراز بين أن من عدل سليمان وفضله وفضل جنوده أنهم لا يحطمون نملة فما فوقها إلا بالآل يشعروا بها)^{٣٣}، وهذا على مستوى القائد والجندي.

ويمتاز سليمان عليه السلام - وهو القائد - فوق ذلك بالعدل والحكمة والحزم والهيبة والضبط وكل ذلك يتضح جلياً في قول الله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُ

عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢١)﴾ [النمل: ٢٠ - ٢١]. وقد قام الهدهد بالمهمة التي

كلف بها خير قيام، فقد قدم تقريراً مفصلاً عرض فيه ما شاهده ولاحظه؛ قال الله تعالى في ذلك: ﴿فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ حِطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ بَنِيَّ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُحْشُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥)

^{٣٢} أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣، ج ٧، ص ٦٠.
^{٣٣} الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١ هـ، ج ٣، ص ٩٠.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) ﴿[النمل: ٢٢ - ٢٦]﴾. والآيات تشير إلى معنى هام من معاني الدعوة الإسلامية، فعند الحديث عن أسماء الله تعالى وصفاته لا بد من التفصيل في الإثبات والإجمال في النفي. أي إثبات أسماء الله الحسنى وصفاته العلى. وأيضاً لفت الأنظار إلى قدرة الله عز وجل في الكون.

وفي ختام هذا المبحث يمكن إجمال خصائص دعوة سليمان عليه السلام في التالي:

١. القوة في شخصية سليمان عليه السلام المتجلية في أمره ونهيه وأسلوبه في كتابه إلى أهل سبأ.

٢. القوة في أشخاص رعيته بدءاً من الهدد إلى الذي عنده علم من الكتاب.

٣. القوة في العدد والعدة والطاقات المتنوعة في داخل جنوده.

٤. القوة في جانب الفكر والعلم والابتكار.

المطلب الثالث: أهل سبأ وموقفهم من دعوة سليمان:

لقد كان أهل سبأ أصحاب رغد في العيش وأمن في الأوطان والأسفار، وكانوا مع ذلك يعبدون الشمس. وشاء الله تعالى أن يسوق إليهم الخير على يد سليمان عليه السلام النبي الملك.

تناول القرآن الكريم كفر أهل سبأ وإعراضهم عن الله تعالى، وهي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جِئَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (١٧) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (١٨) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٩) وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠)﴾ [سبأ: ١٥ - ٢٠]. وتحدث

القرآن الكريم عن موقف أهل سبأ من دعوة نبي الله في السورة النمل، فقص الله تبارك وتعالى علينا قصة نبيه سليمان عليه السلام مع "بليقيس" ملكة سبأ في اليمن، وهي قصة رائعة فيها حكم كثيرة وفيها مغزى دقيق للملوك والعظماء، وفيها بيان لسعة ملك سليمان عليه الصلاة والسلام حيث امتد من بيت المقدس إلى أقاصي اليمن ودانت له الملوك والأمراء، وقد اتخذ نبي الله سليمان عليه السلام الملك وسيلة للدعوة إلى دين الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلم يترك ملكاً كافراً ظالماً إلا ودعاه إلى الدخول في دين الله الإسلام وعبادة الله تعالى وحده، فمن لم يستجب لدعوته كان السيف هو الحكم الفصل، وهكذا انتشر دين الله في أقطار المعمورة وعم أرجاء الدنيا. وكان أهل سبأ من الداخلين في دين الله طواعية مع ملكتهم.

وتبدأ قصة سليمان عليه السلام مع أهل سبأ وملكته عندما فصل سليمان عليه السلام عن وادي النمل، حيث وقع سليمان مع جنوده في أرض جدياء لا ماء فيها، فعطش الجيش فسألوه الماء، وكانت وظيفة الهدد في جيشه أنهم كانوا إذا أعوزهم الماء واحتاجوا إليه في القفار والصحارى في حال الأسفار أن يجئ الهدد فينظر لهم هل بهذه البقاع من ماء، وكان الهدد يدلهم على الماء ما خلق الله تعالى له من القوة التي أودعها فيه، حيث كان ينظر إلى الماء تحت تخوم الأرض، وكان يرى الماء في الأرض كما يرى الماء في الزجاج بمشيئة الله تعالى، فكان الهدد إذا دلهم على الماء وقال: وهنا الماء، شققت الشياطين الصخر وفجرت العيون، واستنبطوه وأخرجوه واستعملوه لحاجتهم.^{٣٤}

^{٣٤} ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، مصدر سابق، ج ٥، ص ٢٨٥-٢٨٦؛ وابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، دار الفكر العربي، بيروت، ١٤٠٨ هـ، ج ٢، ص ٢٥.

فعندما عطش جيش سليمان عليه السلام واحتاجوا إلى الماء تفقّد الطير فلم يره بينهم ولم يجده، فأخذ يتهده بالذبح أو التعذيب إلا إذا أتاه بعذر مقبول عن سبب تخلفه، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿تَفَقَّدَ الطَّيْرُ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢١)﴾ [النمل: ٢٠ - ٢١].

ثم أقبل الهدد إلى سليمان عليه السلام، فلما سأله عن غيبته أخبره بأنه اطلع على ما لم يطلع عليه، وأخبره بخبر يقين صادق، وهو أنه كان في اليمن في بلدة سبأ، وأن هناك ملكة على هذه البلاد تدعى "بلقيس" قد ملكت تلك الأمة في اليمن وأوتيت من كل شيء يُعطاه الملوك ويؤتاه الناس، ولها عرش عظيم مزخرف بأنواع الزينة والجواهر مما يبهر العيون، ثم ذكر لسليمان عليه السلام كفرهم بالله تعالى وعبادتهم الشمس والسجود لها من دون الله وإضلال الشيطان لهم وصددهم عن عبادة الله تعالى، الذي يُخرج الخبء والمستتر في السموات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون وهو رب العرش العظيم، قال الله تعالى: ﴿فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ حُطَّ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِيَّ يَقِينُ (٢٢) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦)﴾ [النمل: ٢٢ - ٢٦].^{٣٥}

فعند ذلك بعث سليمان عليه السلام كتابًا ليوصله إلى هذه الملكة مختبرًا صدق الهدد، وكان هذا الكتاب يتضمن دعوته لهم إلى طاعة الله ورسوله والخضوع لملكه وسلطانه قال تعالى: ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨)﴾ [النمل: ٢٧ - ٢٨].

وحمل الهدد كتاب سليمان عليه السلام وجاء إلى قصر بلقيس فألقاه إليها وهي على سرير عرشها ثم وقف ناحية ينتظر ما يكون من جوابها عن كتاب سليمان عليه السلام، وأخذت الملكة "بلقيس" الكتاب فقرأته ثم جمعت أمراءها ووزراءها وأكابر دولتها إلى مشورتها ثم قالت: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٢٩] ما أخبر الله به في هذه الآية ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ﴾ أي أن الكتاب من عنده ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١)﴾ [النمل: ٣٠ - ٣١].

ثم شاورتهم في أمرها وما قد حلّ بها وخاطبتهم بمضمون هذه الآية: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون﴾ [النمل: ٣٢]، تعني ما كنت لأبت أمرًا إلا وأنتم حاضرون، فأخذت رجال دولتها العزة بالإثم وثارَت فيهم الحماسة للقتال ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا نَاسٍ شَدِيدٍ﴾ أي لنا قوة على القتال ثم قالوا لها بعد أن عرّضوا لها بالقتال ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [النمل: ٣٣]، ففكرت بلقيس بالأمر مليًا وبروية، ولم تتحمس كتحمسهم واندفاعهم، وكان رأيها أتم وأسد من رأيهم، وعلمت أن صاحب هذا الكتاب قوي السلطان، يغلب أعداءه ولا يخالف ولا يُخادع

^{٣٥} ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٥ وما بعدها.

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤]، تعني أن هذا الملك لو غلب على هذه المملكة لم يخلص الأمر من بينكم إلا إليّ، ولم تكن الشدة والسطوة البليغة إلا عليّ.

ثم عرضت بلقيس على رجال دولتها ووزرائها رأياً وجدته أقرب إلى حلّ تلك القضية المستجدة، وهي أن ترسل إلى سليمان عليه السلام هدية تصانعه بها وتستنزل مودته بسببها، وتحمّل هذه الهدية لرجال دهاة من رجالها حتى ينظروا مدى قوة سليمان عليه السلام، ثم بعد ذلك تقرر ما ستفعله في أمر سليمان على ضوء ما يأتيها من أخبار عن سليمان عليه السلام وقوته، يقول الله تعالى إخباراً عن بلقيس: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥].

وأرسلت "بلقيس" رجالها بهدية تحتوي على الحليّ والجواهر غالية الثمن، فلما جاؤا سليمان عليه السلام ووضعوا بين يديه هدية بلقيس لم يقبلها، وأظهر لهم أنه ليس بحاجة إلى هديتهم وأن الله سبحانه وتعالى أنعم عليه بنعم كثيرة تفوق بكثير ما أنعم عليهم، ثم توعدهم وملكتهم بأن يرسل إلى بلادهم بجنود لا قدرة لهم على قتالهم ويخرجهم من بلادهم أدلة صاغرين؛ يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ (٣٦) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٦ - ٣٧].^{٣٦}

لما رجعت رُسل بلقيس إليها أخبروا ملكتهم بخبر سليمان عليه السلام، ووصفوا لها ما شاهدوه من عظمة مُلك سليمان عليه السلام وكثرة جنده وقوة بأسه، وأخبروها بأنه رد الهدايا إليها ولم يرض المصانعة، وأنه مصمم على غزو بلادهم بجيش كبير عرمرم لا قدرة لهم عليه. ولما سمعت الملكة "بلقيس" أخبار رسلها عن سليمان عليه السلام وعظيم ملكه أيقنت بعظم سلطانه ومهابته وعدم طاقتها على مقاومته، فبعثت إليه: إني قادمة إليك لأنظر ما تدعو إليه، ثم أمرت بعرشها فجعل وراء سبعة أبواب، ووكلت به حرساً يحفظونه وسارت إلى سليمان عليه السلام بجيش كبير مع رجالها وجماعتها.^{٣٧}

وكان نبي الله سليمان عليه السلام عظيم الهيبة، كثيراً ما كان الناس لا يبدأونه بشيء حتى يسأل هو عنه، فجلس يوماً على سرير ملكه فرأى رجلاً قريباً منه فقال: ما هذا؟ فقالوا: "بلقيس" قد نزلت بهذا المكان، وكان قدر فرسخ، وكان قد بلغه أن بلقيس عملت على حراسة عرشها قبل خروجها، فلما علم سليمان عليه السلام بقدمها إليه، شيد لها قصرًا عظيمًا من زجاج، وجعل في ممره ماء، وجعل عليه سقفاً من زجاج، وجعل فيه السمك وغيره من دواب الماء بحيث يخيل للناظر أنه في لجة من الماء.^{٣٨}

وأراد سليمان عليه السلام أن يظهر لبلقيس من دلائل عظمته وسلطانه ما يبهرها وأن ترى بعينها ما لم تره من قبل قط، وهو أن يأتي بعرشها إلى قصره ليكون جلوسها عليه في ذلك الصرح العظيم دليلاً باهراً على نبوته لأنها خلفته في قصرها واحتاطت عليه، فأمر عليه السلام جنوده وخواصه أن يخبروه عن مخلوق قوي لياثيه بعرش بلقيس، فتطوع عفريت قوي من الجن وأخبره أنه قادر على إحضار عرش بلقيس في مدة قصيرة لا تتجاوز نصف نهار، يقول الله تبارك وتعالى إخباراً عن سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (٣٨) قَالَ عِفْرِيْتُ مِنَ

الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٨ - ٣٩]، أي مجلسك، وكان

^{٣٦} الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ، ج ١، ص ٤٩١؛ و ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٥.

^{٣٧} محمد بن عبد الرحمن العلمي الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة دنديس، الأردن، دت، ج ١، ص ١٣٥.

^{٣٨} الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، ج ١، ص ٤٩٢؛ ومحمد بن عبد الرحمن العلمي، المرجع السابق، ج ١، ص ١٣٥.

سليمان عليه السلام يجلس للقضاء بين الناس من وقت الفجر إلى نصف النهار، ثم قال له: ﴿وَإِيَّ عَلَيْهِ لَقَوِيَّ أَمِينٌ﴾، أي: وإني لذو قدرة على إحضاره إليك وذو أمانة على ما فيه من الجواهر النفيسة. وكان هناك عند سليمان عليه السلام رجل من أهل الإيمان مشهور بالتقوى والولاية أعطاه الله معرفة اسمه الأعظم ويدعى آصف بن برخيا ويقال إنه ابن خالة سليمان فقال لسليمان عليه السلام ما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا

عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، أي قبل أن يرجع إليك بصرك إذا نظرت به إلى أبعد غاية منك ثم أغمضته، وكان الأمر كما قال، وإذا بعرش بلقيس بعظمتها وحليته قائم وحاضر في القصر أمام نبي الله سليمان عليه السلام، فلما رأى سليمان عليه السلام عرش بلقيس عنده في هذه المدة القريبة قال ما أخبر الله به عنه في هذه الآية في قوله: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ

مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، أي هذا من فضل الله علي وفضله على عبيده ليختبرهم على الشكر أو خلافه (وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) أي يعود نفع ذلك عليه، (وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) أي: ترك الشكر.^{٣٩}

ثم أمر نبي الله سليمان عليه السلام أن يغير بعض معالم العرش ليمتحن بها قوة ملاحظتها وانتباهها وليختبر فهمها وعقلها، قال الله تعالى: ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ

(٤١) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٤١] - [٤٢]، وهذا من فطانتها وغازة فهمها، لأنها استبعدت أن يكون عرشها لأنها خلفته وراءها بأرض اليمن تحت حراسة شديدة، ولم تكن تعلم أن أحداً يقدر على هذا الصنع العجيب الغريب، ﴿وَصَدَّهَا مَا

كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [النمل: ٤٣]، والمعنى: صدها عن عبادة الله تعالى وحده عبادتها للشمس والقمر اتباعاً لدين آبائها لأنها نشأت ولم تعرف إلا قوماً كافرين يعبدون الشمس من دون الله تعالى.^{٤٠}

وكان سليمان عليه السلام قد أمرها بدخول القصر وكان جالساً على سرير عرشه، قال الله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ

نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]. فلما رأت الدلائل الباهرة والخوارق العجيبة أعلنت إسلامها وتبرأت مما كانت عليه من كفر وضلال، يقول الله تعالى حكاية عن بلقيس: ﴿قَالَتْ

رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وبعد أن أسلمت بلقيس ودخلت تحت سلطان سليمان عليه السلام يقال إنه تزوجها وأقرها على مملكة اليمن ورددّها إلى بلدها، وكان يزورها في مملكتها في كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام، وأمر الجن المسخرين له أن يبنوا له ثلاثة قصور هناك. والله أعلم.^{٤١}

^{٣٩} الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، ج ١، ص ٤٩٢.

^{٤٠} ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٨.

^{٤١} ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، مصدر سابق، ج ٥، ص ٣٥٢.

المبحث الثالث: المكونات المعنوية للدولة في قصة سليمان عليه السلام المطلب الأول: العقيدة:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥) وَوَرَّثَ سُلَيْمَانَ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطُمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩) وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدًى أَمْ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) الْأَعْدَى عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِيَّ يَقِينُ (٢٢) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأُتُوْنِي مُسْلِمِينَ (٣١) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا فُؤُةً وَأَوْلُوا بِأَسِ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنَخْرُجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (٣٧) قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عَفْرِتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرُ أَتَنْهَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٤٣) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ فَوَارِبَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤) ﴿ [النمل: ١٥ - ٤٤].

تكاد تنحصر دعوة سليمان عليه السلام الواردة في هذه الآيات في تقرير الربوبية والألوهية وإبطال ونفي الشرك والشركاء، ودعوة المشركين إلى تصحيح مفاهيمهم في الألوهية والربوبية.

أولاً: تقرير الألوهية والربوبية: وقد ورد بأساليب كثيرة؛ منها:

أ- ذكر لفظ الجلالة مقروناً بالمحامد التي يستحقها سبحانه وتعالى؛ مثل: ﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ذكر بعض الأسماء الحسنى؛ كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

ب- ذكر بعض الصفات الدالة على الوحدانية والقدرة؛ كقوله: ﴿لَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾.

ج- ورود كلمة الإخلاص التي قامت بها السماوات والأرض: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

ثانياً: تصحيح مفاهيم المشركين والكافرين في الألوهية؛ وقد ورد ذلك على أنماط منها:

١. إبطال الغلو في الأنبياء والصالحين:

لقد اعتقد الجاهليون أن الأنبياء يعلمون الغيب، والحق أنهم يعلمون منه ما يشاء الله تعالى لتبليغ الدين وإقامة الحجة؛ قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا حَرَّرَ نَبِيِّنَا الْجَنِّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: ٣٤]، وقال سبحانه: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٨]، ويقول القرآن الكريم على لسان الهدهد: ﴿أَخْطُتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢]، قال القرطبي: (أي علمت ما لم تعلمه فكان في هذا رد على من قال أن الأنبياء يعلمون الغيب) ٤٢، وقال أبو حيان الأندلسي: (وفيه دليل على بطلان قول الرافضة أن الإمام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه أعلم منه) ٤٣، وكم لغلاة الصوفية من شطحات تلحق بهذا الباب.

٢. تفنيد عقائد المشركين في الجن:

فلقد زعموا أن الجان تضر وتنفع وتعلم الغيب، وكان رجال من العرب في الجاهلية يعوذون برجال من الجن ويلتمسون عندهم ما استرقوه من سمع كما فصلته سورة الجن. وكان أحدهم - كما يقول ابن عباس رضي الله عنهما - يبيت بالوادي في الجاهلية فيقول: أعوذ بعزير هذا الوادي ٤٤. فبين كتاب الله تعالى في منهجه القويم في تصحيح المنحرف من مفاهيم الناس؛ أن الجن - مخلوقون مربوبون كسائر المخلوقات، تجري عليهم أحكامهم؛ ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ

وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧].

وأنهم عبيد مسخرون، وقد خضع فريق منهم لسليمان عليه السلام، يأترون بأمره ويزدجرون بنهيه، وكان منهم له ﴿وَالشَّيَاطِينُ كُلٌّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ (٣٧) وَأَخْرَيْنَ مُفْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [ص: ٣٧ - ٣٨]، وفي

هذه السورة: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ [النمل: ٣٩].

ب- وأنهم مكلفون مجازون؛ قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ غَدُوَهَا شَهَرٌ وَرَوَاحُهَا شَهَرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَرِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢].

٤٢ القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، ج ١٣، ص ١٨١.

٤٣ أبي حيان الأندلسي، مصدر سابق، ج ٧، ص ٦٦.

٤٤ الطبري، جامع البيان في تأويل أي القرآن، مصدر سابق، ج ٢٩، ص ٧٦٨.

ج- لا يعلمون الغيب، قال تعالى في قصة وفاة سليمان عليه السلام: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانَوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤]، قال سيد قطب: فهو لاء هم الجن الذين يعبدهم بعض الناس، هؤلاء هم سخرة لعبد من عباد الله، هؤلاء هم محجوبون عن الغيب القريب، وبعض الناس يطلب عندهم أسرار الغيب البعيد^{٤٥}.

وإنه لجدير بالدعاة ورعاة الناس في العالم الإسلامي أن يسلكوا هذا المنهج القرآني لتصحيح العقائد المنحرفة والتصورات المعوجة في هذا العصر الذي انتشرت فيه خرافات تحضير الأرواح والتنبؤ بالأحداث قبل وقوعها، واستخدام الجان في ذلك، وقد انتشرت هذه الأوهام والأمراض في كثير من البلدان الإسلامية.

٣. إبطال الطيرة:

وبيان أن الطير لا تملك لأحد شيئاً من النفع والضرر، والعرب في جاهليتها كانت تتطير بأنواع من الطيور كالغربان والبوم وغيرها تفاؤلاً وتشاؤماً. ويجيء ذكر الهدد في سورة النمل ليبطل تلك العقائد الزائفة فهو كسائر الطيور:

أ- مسخر لعبد من عباد الرحمن: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُورَعُونَ﴾ [النمل: ١٧].

ب- ويقع تحت طائلة الأخذ الشديد والعقاب الأليم إن استوجبه: ﴿وَتَقَعَدَ الطَّيْرُ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ

كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [النمل: ٢٠ - ٢١].

ج- ويأتمر بأمر سيده: ﴿اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: ٢٨].

د- ويحتج على الإنسان مستكراً أن يتخذ مع الله أنداداً وشركاء؛ فهو يقول: ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: ٢٤ - ٢٥].

هـ- وترد كلمة التوحيد على لسان الطائر وهو غير المكلف لتقوم الحجة على الإنسان المكلف المسؤول عنها أمام الله تعالى يوم القيامة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٦].

المطلب الثاني: العلم:

تميزت دعوة سيدنا سليمان عليه السلام بطابع القوة الحسية والمعنوية في العلم والتمكين وأسلوب القيادة والجنود والاتباع، واجتماع هذه الأمور عنده مكنته من إنشاء دولته التي اجتمعت فيه المدنية والرقى.

ومن يتأمل الآيات البينات عن حياة سليمان عليه السلام في هذه السورة يجد أنه عليه السلام استخدم قوة التأثير الحضاري لدعوة ملكة سبأ إلى الإسلام، وأن الأمر كان مدبراً، بينت مجريات أحداثه على متوقع نتائجه وربطت نتائجه بأهدافه.

وتدرج سليمان عليه السلام في استخدامه هذا الأسلوب العلمي في مراحل عدة منها: الأولى: مرسله الملكة بأسلوب رفيع؛ قال تعالى حكاية عن أمر سليمان عليه السلام للهدد: ﴿اذْهَبْ

^{٤٥} سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط ٣٠، ١٩٩٥م، ج ٥، ص ٢٩٠٠.

بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْفِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُوْنِي مُسْلِمِينَ ﴿[النمل: ٢٨ - ٣١]، فهذا أسلوب بين القوة في الخطاب، والاختصار من غير إخلال، والتزام جانب الآداب الإسلامية حتى وصفته بأنه كتاب كريم. ويقول القرطبي في هذا: "لما تضمن من لين القول والموعظة في الدعاء إلى عبادة الله عز وجل، وحسن الاستلطاف والاستعطاف من غير أن يتضمن سباً ولا لعناً، ولا ما يغير النفس، ومن غير كلام نازل ولا مستغلق على عادة الرسل في الدعاء إلى الله عز وجل"^{٤٦}.
الثانية: رد الهدية التي بعثت بها الملكة، وإعلامها أن مقام الدعوة أسمى من أن يساوم بثمن بخس أو عرض زائل. وجاء في معرض الرد: ﴿فَمَا أَتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا أَتَاكُمْ﴾ [النمل: ٣٦]، واقترن مع ذلك التهديد: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٧].

الثالثة: وهي ذات هدفين:

١. طلب إحضار العرش من اليمن إلى فلسطين في أوجز وقت وبين المكانين مسافة طويلة؛ هذا فيه إظهار لسلطان العلم واستخدامه للخير والنفع ومن أجل الخير الدعوة إلى الله تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عَفَرْتُ مِنَ الْجِنَّ أَنَا أَتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٍّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا أَتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٣٨ - ٤٠]، وليس من الصواب البحث في كيفية إحضار العرش لسكوت السياق عنه، وحسبنا مواطن العبرة هنا:

أ- تنويه بالعلم النافع وقيمه أياً كان ميدانه.
ب- ربط هذه النعمة بالإيمان ومن أجلى مظاهره الشكر.
وهاتان قاعدتا الحضارة الحقة في كل زمان ومكان.
وهذه قاعدة تحت الدعاة على إيقاف الناس على ثمرات العلم والإيمان ليعلموا أن الإسلام سبيل الرقي والمدنية وهو كذلك سبيل الحفاظ عليهما من الانهيار والتصدع، وكم هو حري بالدعاة إلى الله تعالى أن يسلكوا هذا المنهج في دعوتهم بإيجاد هذا النمط من الحياة ثم عرضه على الناس ودعوتهم إلى التمسك به ولاسيما في هذا العصر الذي افتتن فيه الناس بعلوم الغرب وتقدمهم، وانبهروا بثقافتهم مع خلوها عن الوفاق والود والتواصل وبعدها عن المقاصد الشرعية والأهداف الكبيرة التي دعا إليها الإسلام ولن توجد في غيره.^{٤٧}

٢. اختبار عقل الملكة ومقدار ما منحت من مدارك ليكون الأسلوب الدعوي متطابقاً مع مداركها متناسباً مع توجهها وليكون موافقاً لفهمها للناس والحياة. ولقد حقق سليمان عليه السلام هدفين: معرفة اتجاهها وإيقافها على معجزته.

الرابعة: إيقاف المدعوين على قمم المنجزات العلمية ومبتكرات الحضارة الإسلامية، وهذا -لا ريب- من أهداف الإسلام الكبرى، إذ أنه من معاني الاستخلاف في الأرض، الذي من أجله كرم الإنسان؛ قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ

^{٤٦} القرطبي، مصدر سابق، ج ١٣، ص ١٩٢.

^{٤٧} عبد الرب نواب الدين آل نواب، مرجع سابق، ص ٢٢٠-٢٢١.

قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ [النمل: ٤٤]، قال سيد قطب في هذه الآية: " نرجح أن هذه وسيلة لعرض مظاهر القوة الخارقة التي تؤيده، لتؤثر في قلب الملكة وتقودها إلى الإيمان بالله والإذعان لدعوته"^{٤٨}.

لقد عاشت هذه الملكة لوناً حضارياً رفيعاً في قومها و كانت حضارة مادية بحتة، ورغم ذلك فقد حببتها الظنون عن نضارة وجه الإسلام وإشراقه محياه، فلما علمت الذي يهدي إلى الطيب من القول وإلى صراط مستقيم، لما انبهرت بمعطيات الإسلام في مجال التمدن أسلمت وأذعنت مع سليمان لله رب العالمين.^{٤٩}

يستخلص من هذا أن العلم أساس في بناء صروح الحضارات، وطريق مؤد إلى الرقي المعنوي والمادي، ومستحيل أن تقوم حضارة يصادم أهلها العلم ويتخاذل علماؤها عن الاستبحار في العلوم الكونية والمدنية. إن أسلاف هذه الأمة برعوا في كل علم وفن، وحازوا على كل مجال وميدان وفاقوا أمم الفرس والروم في العلوم كافة، فأسسوا دولة بلغت المشارق والمغرب، ودخل الناس بسبب ذلك في دين الله أفواجا.

المطلب الثالث: الدعوة:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥].

من أبرز الموضوعات التي تناولتها قصة سليمان عليه السلام في سورة النمل موضوع الدعوة، حيث تميزت الدعوة بالقوة، القوة المتمثلة في شخصية سليمان عليه السلام التي تجلت في كتابه إلى ملكة سبأ؛ قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ

الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُوْنِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٢٩ - ٣١]، فترى من حيث الأسلوب القوة في الخطاب وعرض الموضوع الأمر الذي يضيف على الكتاب وكتابه الجدية والقوة حيث لا توجد مكانة للمهادنة في أسلوب الكتاب. ومن حيث المضمون يلاحظ عليه الوضوح والدقة. وترى القوة في العدد والعدة والأشياء والأشخاص. والدليل على ذلك تكرار كلمة الجنود في قصة سليمان ثلاث مرات؛ قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧]، وقال تعالى

على لسان النملة: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ مَلَكَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨]، وقال تعالى على لسان سليمان: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٧]، وهؤلاء الجنود من أمم شتى من الجن والإنس والطير وكلهم سخروا للدعوة إلى الله تعالى. وإنك لتلمس لدى سليمان عليه السلام الروح الحافزة إلى الجهاد المتطلعة إلى إعلاء كلمة الله تعالى.

ولئن كان العمل الإسلامي- أياً كان ميدانه- مناطاً بأعمال صفوة خلق الله عز وجل بالاقتداء بهم والاستفادة من مناهجهم. إنه لجدير أن يلاحظ في جنود سليمان عليه السلام عناصر ثلاثة، هي أقصى ما وصلت إليه أنظمة التجنيد وعرفته فنونه؛ وهي:

^{٤٨} سيد قطب، مرجع سابق، ج ٥، ص ٦٤١.

^{٤٩} عبد الرب نواب الدين آل نواب، مرجع سابق، ص ٢٢٢.

١. التنظيم الدقيق؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾^{٥٠} ، أي: يساقون ويحبسون ويجمعون لا يتخلف منهم أحد، ومنظمون في صفوف متلاحمة.

٢. الكثرة المدهية والتنوع الهادف؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

٣. اتصاف الجنود بالنزاهة والحيطة وسلامة السير وهي من أزهى ثمار التربية الإسلامية وتربية القائد لجنوده، وذلك في قول الله تعالى حكاية عن النملة: ﴿لَا يَخْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. قال الزركشي: (وفي قوله: (وهم لا يشعرون) احتراس بين أن من عدل سليمان وفضله وفضل جنوده أنهم لا يحطمون نملة فما فوقها إلا بالأل يشعروا بها)^{٥١}.

ويمتاز القائد فوق ذلك بالعدل والحكمة والهيبة وال ضبط والانضباط، وكل ذلك تراه جلياً بيناً في قول الحق؛ قال الله تعالى: ﴿وَتَقَعَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَيْدَةَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لَأَعَذِّبَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [النمل: ٢٠ - ٢١]، وهذه من لوازم الدولة ونشوء مجتمع الحضارة، كما أن دعوة سليمان تميزت بالقوة في محور العلم والفكر فكذلك الدعوة الإسلامية بدأت خطابها بقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ - ٥] إيداناً بقيام الدولة الإسلامية على يد النبي صلى الله عليه وسلم، ونشوء أمة الإسلام تحت ظلال التوحيد. والدعوة حينما تتخذ من العلم بمختلف حقوله المتعددة، وتخصصاته الهادفة تحصن نفسها من التآكل وتحفظ دولتها من التصدع والوقوع في براثن التخلف الحضاري والتقدم التقني.

ومن جهة أخرى ترى وسائل الدعوة في قصة سليمان عليه السلام ظاهرة في السورة؛ ومنها: القدوة في شخص النبي سليمان عليه السلام، وهي وسيلة عامة في جميع دعوات الأنبياء عليه السلام. وتظهر القدوة في الآتي:

١. قال تعالى حكاية عن الهدد: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢]، وفي هذه الآية إرساء لقاعدة هامة من قواعد القدوة الهادفة ألا وهي قاعدة التواضع والإنصات للآخر دون كبرياء وازدراء؛ قال الزمخشري معلقاً على قول الهدد: "فيه تنبيه على أن في أدنى خلقه وأضعفه من أحاط علماً بما لم يحط به لتحقاقر إليه نفسه ويتصاغر إليه علمه ويكون لطفاً له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء، وأعظم بها من فتنة"^{٥٢}.

٢. وتتمثل القدوة في تعداد نعم الله سبحانه ويظهر ذلك في قول الله: ﴿وَوَرَّثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦]. وتأمل قول سليمان عليه السلام بعد أن مثل عرش ملكة سبأ أمامه: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

وسليمان عليه السلام يبلغ دعوته عن طريق السفراء وبعث الدعاة؛ قال تعالى على لسان سليمان بوجه الهدد: ﴿أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: ٢٨]، والآية الكريمة تشير إلى مهمتين يجب أن يقوم بهما الهدد: المهمة الأولى هي الصدوع بالأمر والذهاب إلى القوم لإبلاغهم دين الله تعالى لأنه المخبر بالقصة، ولكونه رأي منه من مخايل الفهم والعلم ما

^{٥٠} الزركشي، مصدر سابق، ج٣، ص ٦٥

^{٥١} الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد، الكشف، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ، ج٣، ص ٣٥٩.

يقتضي كونه أهلاً للرسالة. والمهمة الثانية ٥٢ هي: استقراء ردود الأفعال ودراستها وإطلاع القيادة العليا عليها ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَأَنْظَرُ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾.

وكان الهدف من دعوة سليمان عليه السلام تقرير توحيد الألوهية والربوبية، وتصحيح مفاهيم المشركين والكافرين في الألوهية، وبيان معاني الإسلام ومظاهره، وأثاره في الناس والحياة العامة والخاصة كالشكر والإنابة إلى الله والتضرع إليه وإسلام الوجه لله رب العالمين.

المطلب الرابع: التنظيم:

أولاً: مفهوم التنظيم:

يعني **التنظيم لغة**: الترتيب والتنسيق؛ قال الرازي^{٥٣}: (نَظْمٌ) اللؤلؤُ جمعه في السلك، و(نَظْمُهُ) تنظيماً) مثله، ومنه (نظم) الشعر و(نَظْمُهُ)، و(النَّظَام) الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ.. و(الانتظام) الاتساق.

أما في الاصطلاح فإن التنظيم يطلق على معنيين؛ الأول: الجسم الاعتباري الذي يمثل مؤسسة أو شركة أو منشأة أو جماعة أو غيرها، أي: المنظمة. والثاني: نشاط أو وظيفة أو عملية ترتيب وتنسيق الأنشطة والجهود والأدوار والعلاقات والموارد لتحقيق أقصى كفاءة وفاعلية منها. والعلاقة بينهما أن المعنى الأول هو المظهر الدال على المعنى الثاني، فوجود المنظمة وهيكلها التنظيمي الظاهر دليل على جهود جبارة بذلت وتبذل لإقامة هذا الهيكل والمحافظة على اتساق التفاعلات التي تحدث داخله بكفاءة وفاعلية. ويظهر ذلك من خلال تعريف التنظيم؛ حيث يعرف بأنه: عملية بناء العلاقات بين أجزاء العمل، مواقع العمل، والأفراد من خلال سلطة فعالة بهدف تحقيق الالتحام والترابط وأداء العمل بطريقة جماعية منظمة وفعالة.^{٥٤}

وخلاصة القول إن التنظيم يتعلق بحسن ترتيب وتنسيق الموارد والعلاقات والعمليات داخل الكيان التنظيمي. ومن هنا تظهر العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي للتنظيم.

ثانياً: مبادئ التنظيم:

يتفق كثير من علماء الإدارة على أن هناك مبادئ لا بد من الالتزام بها لكي يحقق التنظيم أهدافه؛ ومن أهم هذه المبادئ: مبدأ تسهيل تحقيق الأهداف، مبدأ الفعالية في الأداء، مبدأ تجميع الوظائف المتشابهة، مبدأ التوازن بين السلطة والمسؤولية، مبدأ المحاسبة الفردية، مبدأ وحدة الأمر والتوجيه، مبدأ النمو الوظيفي، مبدأ نطاق الإشراف، مبدأ التوازن الوظيفي، مبدأ التوفيق بين أعمال الاستشاريين والتنفيذيين، مبدأ مرونة التنظيم.^{٥٥}

ثالثاً: مظاهر التنظيم في الدولة في قصة سليمان عليه السلام:

من خلال قصة سليمان عليه السلام في سورة النمل تبرز العديد من المظاهر التي تدل على مكون التنظيم في الدولة، كما يظهر توافقها مع مبادئ التنظيم سابقة الذكر؛ ومن هذه المظاهر: ١. حشر الجنود ووزعهم:

قال تعالى: ﴿وَحَشَرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧]، أي جمع لسليمان جنوده وحشدوا له، وقد كانوا من أصناف من الخلق متباينة: جن وأنس وطيور. وقد لا يكون هؤلاء كل جنده ومن هم تحته وإنما هم من جمع وحشر له في مسيرهم الذي أتوا فيه على واد النمل. والوزع هو الكف؛ والمعنى أن هؤلاء الجنود مع تباينهم في الخلق والصفة والنوع، ومع كثرتهم

^{٥٢} عبد الرب نواب الدين آل نواب، مرجع سابق، ص ٢١٨-٢١٩.

^{٥٣} الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، ص ٣٢٢.

^{٥٤} مدني عبد القادر علافي، الإدارة: دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية، مكتبة دار جدة، جدة، ط٩، ٢٠٠٠م، ص ١٩٣.

^{٥٥} المرجع السابق، ص ١٩٦-١٩٨.

وجمعهم في صعيد واحد لم يكن أحد منهم يتقدم عن منزلته التي هي مرتبة له^{٥٦}. وقال الطبري: فهم يوزعون أي يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا، وذكر ابن زيد أن المعنى يساقون، وقال الحسن: يتقدمون^{٥٧}. وقال الطاهر بن عاشور: الحشر: الجمع، والمعنى أن جنوده كانت محضرة في حضرته، مسخرة لأمره حيث هو. والجنود جمع جند وهو الطائفة التي لها عمل متحد تسخر له، وغلب إطلاق الجند على طائفة من الناس يعدها الملك لقتال العدو وحراسة البلاد. قال: والوزع: الكف عما لا يراد، فشمّل الأمر والنهي، أي: فهم يأمرون فيأتمرون، وينهون فينتهون، فقد سخر الله له الرعية كلها. قال: وفي الآية إشارة إلى أن جمع الجنود وتدريبها من واجبات الملوك^{٥٨}.

وقد ورد الوزع كذلك في معنى الحبس والارتباط بالشكر؛ قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنًا قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُثِيبُ إِلَيْكَ وَإِيَّيَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥]، وفي قوله سبحانه على لسان سليمان في معرض قصته في سورة النمل: ﴿فَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]، قال أبو حيان في البحر المحيط: (وقال رب أوزعني): أي اجعلني أرع شكر نعمة الله وألفه وأرتبطه، حتى لا ينفلت عني، حتى لا أنفك شاكراً لك^{٥٩}. وفي هذا المعنى ارتباط ودلالة أيضاً على كلمة يوزعون في صفة حشر الجند، فيكون المعنى: متآلفون مترابطون غير منفصلين ولا متفصلين، وهذا يدل على بديع التنظيم من ناحية الترتيب بين الجنود، ومن ناحية انحصارهم في صعيد واحد وانحشادهم في نظام، ومن ناحية التألف والارتباط، ومن ناحية الانضباط فلا تفلت عن السمع والطاعة أمراً ونهياً.

وإنك لترى هذه الصورة البديعة التي رسمها القرآن في وصف هذا الجيش العظيم: جنود مختلفة الأجناس، عظيمة العدد، متباينة الصفات والقرارات، مرتبة الصفوف منتظماتها، منضم أوله إلى آخره في تألف وترابط وانتظام، كل في مكانة ومرتبته لا يتجاوزها ولا يحيد عنها، منصاعون لأمر القائد جميعاً طائعين مستسلمين، وهذا الجيش في حال حركته وسوقه وتقدمه بين يدي سليمان على هذا الوصف من الانضباط والنظام.

يدل هذا الوصف المبهر والصورة البديعة المتكاملة الملامح والتفاصيل على مستوى عال ومتقدم من التنظيم الذي بلغته دولة سليمان في جيشه؛ تنظيم حقق الانضباط والامتثال والتألف بين هذه الجموع الكبيرة المتباينة أشد التباين، تنظيم يضمن كفاءتها وفعاليتها في تحقيق أهداف الدولة والمهام الملقة على عاتق العاملين فيها.

٢. ترتيب وتوزيع المهام بين أهل المملكة (حسن تسخير الموارد):

من مظاهر التنظيم الواضحة في دولة سليمان حسن ترتيب وتوزيع المهام بين أهل المملكة، فيلاحظ من خلال الآيات المتفرقة في القرآن التي تحكي قصة سليمان:

اختصاص قسم من الجن بأعمال البناء، والجلب وغير ذلك؛ قال سبحانه: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِ رُحَاءِ حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينُ كُلُّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ﴾ [ص: ٣٦ - ٣٧]، قال البغوي: يبنون له ما يشاء من محاريب وتماثيل، ويستخرجون له ما يشاء من اللآلئ من البحر^{٦٠}، وفصل الله عز وجل في أعمال بنائهم فقال عز من قائل: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ

^{٥٦} ابن كثير؛ أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ج٦، ص ١٨٣.

^{٥٧} الطبري؛ محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، مصدر سابق، ج ١٩، ص ٤٣٨.

^{٥٨} الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، دت، ج ٢٠، ص ٢٣٩-٢٤٠.

^{٥٩} أبو حيان الأندلسي، مصدر سابق، ج ٨، ص ٢٢٢.

^{٦٠} البغوي؛ الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، دار طيبة، الرياض، ط٤، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ج ٧، ص ٩٥.

شُكْرًا وَكَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشُّكُورِ» [سبأ: ١٣]، فيعملون له الأبنية الرفيعة من بيوت ومساجد، ويزينونها بالنقوش ويشكلون له النحاس، ويصنعون له الجفان (جمع جفنة وهي آلة الأكل) العظيمة كحياض السفيا التي تحفر في الأرض، والقصور العظيمة الضخمة التي يصنع فيها الطعام والتي هي من ضخامتها لا تحرك ولا تحول عن أمكنتها فكانها الجبال رسوا واستقراراً^{٦١}.

أ- اختصاص الطير بتوجيه الأخبار وتلقيها، وتوجيه الرسائل إلى قواده وأمرائه^{٦٢}، وتظليله من الشمس، ومنها ما يختص بإيجاد الماء برؤيته في غور الأرض وهو الهدهد^{٦٣}. اختصاص الريح بالنقل غدواً ورواحاً، وبالعصف والجري اللين وإنزال المطر بأمر سليمان ورغبته؛ قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ: ١٢]، قال وقال سبحانه: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ عَاصِفَةٌ تَجْرِي بِأَمْرِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١]، قيل كانت تسير من اصطخر إلى الشام يركب عليها سليمان وأصحابه^{٦٤}. وقال سبحانه: ﴿فَسَجَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٦]، قيل: كانت الريح تحت أمره إن أراد أن تشتد اشتدت، وإن أراد أن تلين لانت^{٦٥}، فيسخرها سليمان حيث شاء وقصد وأراد، فيما شاء من الرخاء وهو المطر، والحرب والنقل.

ب- اختصاص أهل العلم وأعيان الرعية بالشورى وطلب الإعانة: وهذا يظهر من خلال استشارة سليمان عليه السلام وطلبه الإعانة في جلب عرش ملكة سبأ، قال سبحانه على لسانه: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٨]، ويظهر من الآيات التالية أصناف من أهل حاشيته من المستشارين والأعوان، ومنهم عفاريت الجن؛ قال تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٍّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٩]، وأهل العلم من الإنس؛ قال سبحانه: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]. هذا المظهر يبرز كذلك في مملكة سبأ، حين دعت ملكتها قادة الجند وأهل المشورة لأخذ رأيهم؛ قال سبحانه عنها: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ [النمل: ٣٢]، ومعلوم أن الملأ هم عليه القوم وأعيانهم وقادتهم.

٣. وضع الترتيبات والأنظمة التي تكفل تحقيق المهام بأفضل طريقة:

تظهر في قصة سليمان عليه السلام جملة من المهام والأهداف التي يحتاج إلى إنجازها وتحقيقها والتي وضع لكل منها ترتيبات لضمان تحقيقها بالكفاءة والفاعلية المطلوبة؛ ومن ذلك:

أ- الترتيبات التي وضعها سليمان عليه السلام لمساءلة الهدهد عن الخلل في أداء واجب محدد سلفاً، وتظهر في قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ (٢٠) لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [النمل: ٢٠ - ٢١]؛ وهي:

- تحديد العقوبة عن القصور في العمل والتفريط في أداء الواجب.
- وصف الأعداء المقبولة السائغة في عدم أداء الواجب.
- تأكيد وكفالة إنزال هذه الأنظمة في أرض الواقع (لأعذبته)، (لأذبحته)، (ليأتيني). فأكد عليها أشد التأكيد باللام ونون التوكيد المشددة.

^{٦١} الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مصدر سابق، ج ٢٠، ص ٣٦٦.

^{٦٢} الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ج ٢٠، ص ٢٤٠.

^{٦٣} ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، أحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ج ٣، ص ٤٧٨.

^{٦٤} أبو حيان الأنديلسي، مصدر سابق، ج ٧، ص ٤٥٨.

^{٦٥} البغوي، مصدر سابق، ج ٥، ص ٣٣٥.

- إعطاء الفرصة لعرض الحجج والدفعات وتقييم مقبوليتها وموضوعيتها.
- التحقق من الحجج والدفعات إذا كانت مقبولة موضوعاً.
- الحكم بمقتضى ما يثبت عن التحقيق.
- الترتيبات الخاصة بإنجاز مهمة إرسال الرسالة إلى مملكة سبأ والتي فيها طلب استسلامهم أو إسلامهم: وفي هذه الحادثة يظهر نوع التعليمات المفصلة والتوجيهات المحددة والخطوات المحصورة للتصرف والتي ينبغي أن يلتزم بها الهدد. فقد أمره سليمان فقال: ﴿اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: ٢٨]، وتتضمن هذه التعليمات والخطوات إنجازها الآتي:
 - حمل الكتاب والذهاب به إلى مملكة سبأ.
 - إلقاء الكتاب إلى المرسل إليه وهو ملكة سبأ، وقد أشار بصيغة الجمع لأن مضمون الرسالة موجه إلى قوم سبأ جميعاً لا ملكتهم وحسب.
 - التنحي عن مجلسهم بعد تسليم الخطاب بحيث لا يرونه ولا يشعرون به.
 - الانتباه إلى رد فعلهم وتصرفهم حيال الرسالة واستيعاب ما يقررونه ويبتون فيه بشأنها، وهذا معناه المكث حتى يحيط بكل هذه المعلومات.
 - إفادة سليمان بما يستقر عليه رأيهم، وما يشرعون في إنفاذه من التصرفات حيال الرسالة المبعوثة إليهم، وهذا يفهم ضمناً من السياق.
- ب- ترتيبات التعامل مع الأمور الطارئة والهامة: وتظهر هذه الترتيبات من تصرف ملكة سبأ حيال الرسالة المرسل إليها، وفي تصرف سليمان عليه السلام فيما أراده من جلب عرش ملكة سبأ وتنكيره لهدايتها؛ قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكِ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون﴾ [النمل: ٢٩ - ٣٢]، وقال تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَتَيْتُم بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيَّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌ كَرِيمٌ (٤٠) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَنْهَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٣٨ - ٤١]. ومن خلال هاتين الحادثتين تظهر ملامح ترتيبات التعامل مع الأمور الهامة والطارئة الآتية:
 - استيعاب المشكلة وتحديدها: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكِ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ طرح المشكلة لمجلس الشورى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون﴾ التداول وتمحيص الرأي: ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَاجَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٣ - ٣٥].
 - اتخاذ قرار حول المشكلة: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَاجَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾.
 - إنفاذ القرار.
 - متابعة نتائج تنفيذ القرار المتخذ والتصرف حيالها.

ومما يدل على أن هذا الترتيب كان مستقراً في مملكة سبأ قول ملكتهم: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون﴾ [النمل: ٣٢].

من جميع ما سبق يتضح أن التنظيم مكون معنوي هام وأساس من مكونات الدولة، وأن بسط سلطان الدولة ونفوذها وقيامها بمهامها وتحقيق دورها مرتبط بشكل عظيم بالتنظيم، فبدونه تنفلت الأمور وينفلت المأمورون، وتضيع الحقوق والواجبات، ويساء تنفيذ الأدوار والقيام بالمهام، وهذه هي الفوضى التي قال الشاعر عنها: لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم. فالتنظيم يحقق:

١. الانضباط والامتثال.
٢. أداء المهام على الوجه المطلوب.
٣. التناسق والتناغم والتعاون في تحقيق أهداف الدولة.
٤. تماسك الجبهة الداخلية وقوتها.

المطلب الخامس: الشورى:

الشورى فعلى، من شار يشور شورا إذا عرض الأمر على الخيرة، حتى يعلم المراد والشورى هي المشورة، والمشورة (بضم الشين) تقول: شاورته في الأمر واستشرته بمعنى. والمشورة بركة^{٦٧}. قال ابن العربي: الشورى ألفة للجماعة ومسبار للعقول وسبب إلى الصواب، وما تشاور قوم إلا هدوا^{٦٨}. وقال ابن عطية: الشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام؛ من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب^{٦٩}. وفي سياق قصة سليمان عليه السلام يلاحظ موقفان للشورى:

الموقف الأول: موقف ملكة سبأ حيال الرسالة التي أتتها من سليمان عليه السلام:

فإنها طرحت الأمر برمته لأهل شوراها من ملأ دولتها؛ قال تعالى: قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا نَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَاجَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِحِذْيَةٍ فَنَاطِرَةٌ يَمُورُ الْمُرْسَلُونَ [النمل: ٢٩ - ٣٥].

قال ابن العربي: وفي هذا دليل على صحة المشاورة إما استعانة بالأراء إما مدارة للأولياء^{٧٠}، والملاحظ في هذا السياق أن ملكة سبأ حينما استلمت الخطاب ووعت ما فيه عرفت أنه أمر جليل خطير لا يستهان به، بل عرفت أنه أمر مصيري يتعلق به وجود الدولة، فعمدت إلى جمع الملأ من قومها: ذوي الرأي والوزراء وقادة الجيش وأركانها، ثم طرحت عليهم الأمر برمته، لم تصغه بلفظها بل قرأت عليهم الخطاب كما هو بعد أن وصفته بأنه كتاب كريم، ثم أحالت الأمر إليهم للنظر فيه والإشارة عليها بشأنه حتى يكون البت فيه بمباركتهم ورضاهم، وهنا إشارة لطيفة إلى أهمية الحسم والبت في الأمور وعدم تركها سهلاً، وبعد أن أحالت إليهم الأمر طفق الملأ من قومها يدلون بأرائهم فكان خلاصتها تقرير أن الدولة ذات قوة ومنعة، وأنها جيشها عظيم العدد والعدة والعتاد، وأنهم يفوضونها في اتخاذ القرار المناسب. ويلاحظ في السياق أنهم يصفون قوتهم بالتنكير فلا يجزمون بتفوقهم المطلق، ولا يجزمون بتفوق نسبي على جيش سليمان إذ لا معرفة لهم به ﴿قَالُوا

^{٦٦} ابن العربي، مرجع سابق، ج ٤، ص ٧٦.

^{٦٧} القرطبي، مصدر سابق، ج ١٦، ص ٣٥-٣٦.

^{٦٨} ابن العربي، مرجع سابق، ج ٤، ص ٧٦.

^{٦٩} القرطبي، مصدر سابق، ج ٤، ص ٢٤٩.

^{٧٠} ابن العربي، مرجع سابق، ج ٣، ص ٤٨٦.

نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ»، فلما رأت بعين الحصيف المتبصر المتأني قدرة خفية فاعلة من سليمان عليه السلام على إيصال الرسائل لم تعدها، مع قلة المعلومات الاستخباراتية المتوفرة عن قوة جيشه للمقارنة مع قوة جيشها، أرادت ألا تقدم على ما تتقدم عليه ولات حين مندم، فاختارت الحيلة للتعرف على هذا الملك، والتعرف إلى جيشه، وكسب الوقت، ثم تقرر بعدها، لذلك أعلنت لمجلس شوراها أنها سترسل هدية إليه مع رسل من قبلها ليأتوها بخبر هذا الملك وقوته، فأمضى لها المجلس ذلك. وقد كان مخرج هذه المشاورة رأياً حقيقياً جنب مملكة سبأ الدمار والخسران والبوار.

والمأمل في هذه الواقعة يرى ملام الشورى الناضجة المفضية إلى خير القرارات؛ التي يمكن رصدها في الآتي:

١. أن الشورى إنما تكون في الأمور الاستثنائية الجليلة التي تحتاج إلى تمحيص الرأي وتكامل العلم والفهم.
٢. أن أهل الشورى ليسوا كل أحد، بل هم من يستطيع أن يفهم ويشير بالرأي ويدرك الموقف من أهل الاختصاص والعلم والخبرة.
٣. أن الشورى ينبغي فيها طرح الأمر برمته كما هو بدون تحريف ولا تلوين ولا زيادة ولا نقصان إذ أن ذلك يؤثر على مسار تفكير وفهم المستشارين، فتخرج آراؤهم غير سديدة ولا رشيدة لنقص المعلومات والحقائق المنبئية عليه الأحكام والآراء.
٤. أنه لا بد من منح المستشارين الفرصة الكاملة لإبداء الرأي وتقليب الفكر وطرح البدائل المختلفة من غير حجر على أحد في حالة أشبه بالعصف الذهني.
٥. لا بد أن يتواضع المأمور من القادة والوزراء وكبار المعاونين على الرأي والقرار المتخذ لتحقيق نوع من الدعم لتنفيذه ولإسناده وعدم تخليهم عنه وإنكارهم له خاصة في الملمات المتعلقة بكيان الدولة، فلا يستبد أحد برأيه فيها بل لا بد أن يتفق ويتواطأ الجميع على إستراتيجية للتصدي لها وإن صدرت عن واحد رغبة واقتناعاً لا رهبة وجبراً.
٦. لا بد أن تكون الآراء المطروحة واضحة ومحددة وموضوعية، إذ أن الحماسة مضللة، والقرارات التي تصدر عنها عاطفية، وربما يكون فيها ضرر كبير، وإنك ترى المأمور وقادة سبأ يتحدثون بموضوعية حول قوتهم بأسهم فيصفونه بأنه شديد، لكنهم لا يجزمون بالتفوق على سليمان وجنوده لأنهم لا يعرفونه، ولربما كانت قوته أكبر أو أقل، فعبروا عن القوة والبأس بالتكبر.
٧. أن القرار المتخذ لا بد أن يحيط بجميع الاعتبارات القائمة، فالطريقة التي أتى بها خطاب سليمان، وفحواه ونصه تدل على أن هذا الأمر جد وأن المرسل ملك كريم ذا رفعة وسلطان. فمظهر الخطاب وطريقة إرساله وما يشير إليه من صفة صاحبه لها دلالة على خطورة الأمر، وعدم توفر المعلومات والبيانات حول هذا الملك يصعب الحكم على الأمر. فالاستسلام بمجرد الخطاب أمر يدل على غاية السفه، ومقارعة من يمكن أن يكون ذا قوة أكبر وبأس أشد مغامرة قد تقضي إلى زوال الدولة وذل أعيانها. فتعين طلب المعلومات الاستخباراتية للاختيار بين الحرب والاستسلام والإهمال والمهادنة. وهو قرار يحيط بكل الاعتبارات والمعطيات القائمة حول المشكلة.
٨. أن القرار الذي تخرج به الشورى لا يلزم أن يكون باتاً ونهائياً يأخذ أحد الطرفين، بل يمكن أن يكون قراراً بالاستزادة من المعلومات حول الموضوع محل الشورى وعناصره والعوامل المحيطة به، أو غير ذلك مثل التأجيل أو الإهمال.

الموقف الثاني: الشورى في واقعة الإتيان بالعرش:

إن سليمان عليه السلام حين بلغه أن ملكة سبأ آتية إليه مستسلمة، لما بلغها من عظيم سلطانه وعجيب ما رأوا من الملك والجيوش وتفاهة ما عندهم مقارنة بها، رغب أن يفجأها بما يخلخل فكرها من المعجزات، ويوقظ في نفسها الهداية والرشاد، فرأى أن يأتي بعرشها المنيف العظيم من مكانه البعيد الحصين شاخصاً أمامها منكرراً أول مقدمها، فيكون ما ترى وقومها عظمتهم وكرامته محققاً تافهاً ملقى مهملأً عند سليمان، ثم لما ترى معالم الحضارة المادية الباهرة التي تتفوق على ما ألفته مرات ومرات تحصل لها صدمة حضارية تعيدها إلى الرشد، وتسفه أحلامها وتطيح بمعتقداتها الفاسدة في الشمس. ولأجل هذه الغاية العظيمة – هداية ملكة سبأ من خلال نسج هذا التفاوت شاخصاً حاضراً- جمع سليمان عليه السلام أهل مشورتهم من قادة جنده وحكاماء وعلماء بلده فاستشارهم فيمن يندب نفسه للإتيان بعرش ملكة سبأ في الوقت المناسب، فكان منهم عفريت من الجن أوضح قدراته وإمكانياته، فقال إنه قادر على أن يأتيه به في ساعة من نهار قبل أن يفارق مجلسه، وكان منهم من عنده علم الكتاب فأعلمه أن بإمكانه الإتيان به في طرفة عين، وقد كان.

ومن هذا الموقف تتضح المعالم التالية للشورى:

١. أن الشورى كما تكون في التعرف على الآراء ومدارة الأولياء، فإنها كذلك تكون للتعرف على أفضل وسائل إنجاز المهام.
 ٢. أن وليّ الأمر يوضح لأهل الشورى المهمة والهدف المطلوب من ناحية: وصفه، قيده الزمني، وكافة ما يضبطه.
 ٣. أن يفتح المجال واسعاً للإدلاء بالآراء حول الأساليب المتاحة والقدرات الكامنة لدى كل أهل المشورة بحيث يظهر المتأخر منهم إمكانية أفضل من المتقدم، وبهذا فإن صاحب القدرة والإمكانية الأقل لا يتكلم إذا ذكر ما هو أفضل مما عنده.
 ٤. أن من القدرات ما يظهر أنه لا مزيد عليه فيتعين الأخذ به دون مفاضلة ومناقشة.
- من خلال هذين الموقفين في قصة سليمان عليه السلام، يمكن استنباط الآتي:
- أن الشورى تستخدم في الملومات وعظام الأمور.
 - أن المستشارين ينبغي أن يكونوا أهل اختصاص متعمق، وخبرة متنوعة، وحكمة مجربة.
 - أن الشورى تستلزم الصراحة في الطرح، والانفتاح في المناقشة وإبداء الرأي.
 - أن من أهم مخرجات الشورى تأييد القرار المتخذ من الكافة والرضا به من العامة.
 - أنه يمكن الاستفادة من الشورى في حصر الإمكانيات، والتعرف على المقدرات المتوفرة للدولة ورعيته، وذلك من خلال حشد ذوي الخبرات والمعارف المختلفة لإيجاد حلول للمشكلات المطروحة.
 - أن الشورى هي عبارة عن عملية طرح مشكلة لمجموعة من أصحاب المعرفة والخبرة والقدرات لإيجاد الحل الأنسب لها من خلال تفاعلهم الإيجابي مع بعضهم البعض أو مع صاحب الحق في اتخاذ القرار.
 - مخرجات الشورى يمكن أن تكون رأياً راجحاً يتخذ القرار على ضوئه، كما يمكن أن تكون تقريراً للحقائق لإرشاد صاحب الصلاحية في اتخاذ القرار أو تفويض من يحسم القرار.
 - نتائج الشورى غالباً:
- أ- الوصول إلى الهدف بأفضل أسلوب وأنجع طريقة.
 - ب- استلهم أفضل أسلوب للتصرف (وإني مرسله إليهم بهدية).

المبحث الرابع: المكونات المادية للدولة:

المطلب الأول: القوة الحسية:

تتمثل القوة الحسية للدولة في قدرتها على بسط سلطانها، ووفرة مواردها وإمكانياتها. وهاتان الخصلتان تمثلهما القوة العسكرية، والقوة الاقتصادية.

أولاً: القوة العسكرية:

تتمثل القوة العسكرية في القوات المنظمة الخاضعة لسلطان ولي الأمر، والتي تحرس حدود الدولة وتأخذ على أيدي الظالمين وتتكلم بالعدو، فتحفظ كيان الدولة من أعداء الخارج، وتحفظ سلام المجتمع من مفسدي الداخل. ومن مظاهر هذه القوة العسكرية:

١. الجنود المدربة الكثيرة العدد المتنوعة القدرات: وفي قصة سليمان عليه السلام يظهر هذا الأمر جلياً؛ قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧]، والحشر يأتي بمعنى: الجمع، والمعنى أن جنود سليمان كانوا مجموعين له، محشودين في حضرته، مسخرين لأمره، والجنود: هم الطائفة المسخرة لعمل متحد، وغلب إطلاقها على الطائفة المعدة من قبل الملك لقتال العدو وحراسة البلاد. وتظهر قوة جيش سليمان في كثرة عدده وتعدد أنواع جنوده؛ فمنه الجن الذي يسخر لتوجيه القوى الخفية والتأثير في القوى الروحية، ومنه الإنس الذي ينفذ الأوامر ويحارب العدو ويحرس المملكة، ومنه الطير وهو مسخر لتوجيه الأخبار وتلقيها، وتوجيه الرسائل إلى القادة والأمراء^{٧١}.
٢. الاستخبارات العسكرية الكاشفة: ممثلة في الطير التي تأتيه بالأخبار، وتكشف له مقاتل العدو، وتأتيه بتدبيره وعديده وإعداداته.
٣. وسائل النقل والاتصال: وقد سخر الله سبحانه لسليمان الريح عاصفة تجري بأمره، فتحمله وجنوده غداً ورواحاً، قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ غَدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢]، كما توفرت لجيشه الخيل التي تحمل الجند؛ قال تعالى: ﴿إِذْ غُرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِئَاتُ الْجِيَادُ﴾ [ص: ٣١]، وتوفر له الطير الذي يحمل رسائله والأخبار منه وإليه.
٤. من الاستعراض السابق تظهر الخصائص التالية لقوة دولة سليمان الحسية العسكرية:
٥. أنها قوة متعددة المصادر والمكونات: جند من الجن والإنس والطير والوحوش، وريح تحمل وتعصف وتسقي حيث تؤمر.
٦. أنها قوة خاضعة لسلطان الملك؛ قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧]، وقال سبحانه: [سبأ: ١٢]، وقال عز وجل: ﴿وَالشَّيَاطِينُ كُلٌّ بَنَاءٌ وَعَوَاصٍ﴾ (٣٧) وَأَخْرَجَ مَقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ [ص: ٣٧ - ٣٨].
٧. أنها قوة متفوقة في الإمكانيات والعدة والعتاد والأعداد؛ قال سليمان لرسول ملكة سبأ بعد أن رفض هديتهم: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٧].
٨. أنها قوة منضبطة منظمة غاية في التنظيم ومؤلفة ومنسجمة؛ قال تعالى في صفة جنود سليمان: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ غَدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢].

^{٧١} الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ج ٢٠، ص ٢٣٩-٢٤٠.

يلاحظ كذلك أن مملكة سبأ كان لها قوة عسكرية؛ فقد أشار قادتها على ملكتهم: ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [النمل: ٣٣]، فكان هذا أحد مكونات دولتهم، وبدون القوة العسكرية لا يكون لدولة وجود ولا استقرار ولا خضوع للرعية، وهذا في عالم اليوم مشاهد محسوس. فالقوة العسكرية تحقق : حفظ البيضة، وخضوع الرعية، وحراسة خيرات البلاد، وبالتالي المحافظة على كيان الدولة ونظامها.

ثانياً: القوة الاقتصادية:

لا بد للدولة من قوة اقتصادية تؤدي إلى إعمار الأرض، وكفاية الرعية، وتحقيق الرفاه الاجتماعي، وتوفير العتاد الحربي. وفي مملكة سليمان تتوفر العديد من مظاهر القوة الاقتصادية؛ منها:

المال ومكونات البحر من اللآلئ والكنوز: وهذا المورد توفر للدولة من خلال الجن الذين سخرهم الله لسليمان، قال سبحانه: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿وَالشَّيَاطِينُ كُلٌّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ﴾ [ص: ٣٧]. ولما جاء رسل ملكة سبأ بالهدية قال سليمان: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَمِدُّونَنِي بِمَا لَكُمْ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النمل: ٣٦].

١. الصناعات المعدنية والزجاجية وصناعات الأدوات وغيرها: فإنه توفر لسليمان الموارد والصناعات التي توفرت لداود أبيه من قبل إذ ورثه؛ قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦]، فورث عن داود عليه السلام صناعة الدروع السابغة، وأوتي فوق ذلك عين من النحاس سائلة؛ قال تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ [سبأ: ١٢]، فهو يصنع منها بواسطة عماله المهرة من الجن ما يشاء من منشآت السكن والعبادة، وأنية الأكل والطبخ، والنقوش والزينات، والشواهد المعمارية الباهرة. قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، ولما دخلت ملكة سبأ الصرح حسبت أرضه الممردة من الزجاج لجة من ماء حتى إنها كشفت عن ساقها مخافة أن تبطل ثيابها، وهذا دليل على مدى البراعة في إنشاء وتسوية هذه الأرضية الزجاجية، قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]

تنوع الحرف والمهارات والقدرات بين أفراد الرعية: فمنهم الجن والشياطين البنائين والغواصين، والمردة العظام الأقوياء، والإنس العلماء والعاملين، والطير الجوابة الناقلة للمعلومات المظلمة من الحر. قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِبِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧]، وقال سبحانه: ﴿وَالشَّيَاطِينُ كُلٌّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ﴾ [ص: ٣٧]، وحين طلب إحضار العرش: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٍّ أَمِينٌ﴾ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَّبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٣٩ - ٤٠].

١. الأرض الزراعية والموارد المائية: فقد وصف القرآن الكريم أرض الشام – مقرر ملك سليمان – بأنها أرض مباركة، وسخر لسليمان الريح تسقيها أنى احتيج إلى السقيا، قال سبحانه:

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١]، وقال سبحانه: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٦].
أما دولة سبأ، فقد توفر لها كذلك قوة اقتصادية عظيمة، قامت على السيطرة على مسارات التجارة البينية، والزراعة المروية^{٧٢}، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥]

المطلب الثاني: الأشخاص والأشياء:

يبرز في قصة سليمان عليه السلام في سورة النمل العديد من الأشخاص والأشياء التي تمثل أجزاء من مكونات الدولة الحسية. ويمكن التطرق لها من خلال الآتي:

أولاً: الأشخاص:

ظهر في قصة سليمان العديد من الأشخاص المؤثرين في الدولة ونظامها؛ ومن أبرزهم:

١. الملك:

يظهر الملك في قصة سليمان عليه السلام أمراً ناهياً مسيطراً مقررراً، قال سبحانه: ﴿وَوَرَّثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ (١٦) وَخُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٦ - ١٧] ، وما ورثه سليمان من أبيه داوود هو الملك والحكمة، قال تعالى: ﴿وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، ولقد كان ملكه أعظم من ملك أبيه، فإنه سأل مزيدياً على ما ورث، قال تعالى على لسانه: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ (٣٧) وَأَخْرَيْنَ مُفَرِّقِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص: ٣٥ - ٤٠] ، وهو مع هذا الملك العظيم العريض لا يخشى مؤاخذه فيما تصرف فيه عطاء ومنعاً، ولا يخشى مع سلطانه على الجن والشياطين والعفاريت والإنس والوحوش وغيرها من المخلوقات عصياناً لأمره، قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَرِغِ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢].

فقد اجتمع لسليمان الملك واستقر له السلطان وأمن من المؤاخذه على التصرف ومن زيغ الجن عن أمره، وتلك أعظم درجات الملك، وأعز مقامات السلطان. وسليمان مع ذلك سخر ملكه للدعوة إلى الله، وإقامة العدل والشرعة، ولم يرض أن يكون طرفاً في قهر ولا شر، فهاهو على واد النمل يسمع نملة تحذر قومها من خطر جيشه العرمرم فيحمد ربه ويكفه عنهم، وهاهو يسمع بقوم يبارزون الله بالكفر وهو قد أسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، فلا يدمر دولتهم بل يسياس ملكتهم حتى تهتدي إلى الحق من خلال تحقير ما عندهم من الخير الذي يظنون أن آلهتهم سببه، وإظهار الخير الذي عنده والذي تظهر خوارق العادات أنه من الله سبحانه ربه ومعبوده.

ولسبأ كذلك ملكة تقرر وتسيطر، لكنها في السلطان دون سليمان عليه السلام، إذ لا تقطع بأمر حتى تشاور جندها وملاها، فعن قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون﴾ [النمل: ٣٢] قال ابن العربي: في هذا دليل على صحة المشاورة: إما استعانة بالأراء، وإما مداراة للأولياء^{٧٣}. فيظهر من رأيها الذي قررته أن الشورى التي عقدتها لم تكن من باب الاستعانة بالأراء

^{٧٢} الشيخ الأمين محمد عوض الله، السيرة النبوية، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص ٢٨-٢٩.

^{٧٣} ابن العربي، مرجع سابق، ج ٣، ص ٤٨٦.

فحسب، بل كانت إلى حد كبير مداراة للأولياء، وهذا لم يكن في شأن سليمان، فإنه كان ذو سلطان مطلق على جنده ومملكته.

فالدولة إذاً تحتاج إلى رئيس يسوسها وإمام يقودها، وبدونه يحصل التنازع والتعدي والانفراط، وقد أشار ربنا سبحانه بأن أي أمر إن وليه رئيسان أو أكثر فسد؛ قال سبحانه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

٢. الوزراء والمستشارون:

يظهر الوزراء والمستشارون كبطانة للملك، ويمثلون محل مشورته، وسنده وعضده في إنجاز مهامه، ويبرز من هؤلاء في قصة سليمان عليه السلام:

- عفریت من الجن تبرع بإحضار عرش ملكة سبأ لسليمان في ساعة من نهار قبل انقضاء مجلس سليمان؛ قال تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٩].

- رجل من أهل العلم بالكتاب: وقد كان من ضمن مجلس مشورة سليمان وبطانته، وهو الذي أتى بعرش ملكة سبأ حاضراً بين يدي سليمان في غمضة عين؛ قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقَرّاً عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

- الذين ظهروا حين استشارت الملكة في شأن خطاب سليمان عليه السلام؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٢٩]، وفي قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون﴾ [النمل: ٣٢]، وفي قوله تعالى: ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدِ وَالْأَمْرِ إِلَيْكَ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [النمل: ٣٣].

٣. النملة:

وتمثل النملة في قصة سليمان رائدة لأمة من الأمم التي استقرت في أرض مملكته، وقد شهدت لسليمان الملك بالخير، قالت: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨]، فأتى خوفها على قومها من باب عظم الجيش وتدافعه، وصغر أحجام النمل وضالته، المتصور منه ألا يشعر الجيش بهذه الأمة وهي تتحطم تحت أقدامه. وفي قولها يحطمنكم إشارة إلى طبيعة النمل الحشرية القشرية. وفي قولها لا يشعرون إشارة إلى أن هذا الجيش جيش فاضل لا يتأتى منه الأذى والشر عنوة وقصدًا. وقد كان موقف النملة هذا سبباً في شكر سليمان عليه السلام نعمة ربه، ودعاه إياه سبحانه بأن يلهمه ذكره وشكره وحسن عبادته، ﴿فَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]. فمثلت النملة حسن ظن الرعية بالراعي، ومثل سليمان الراعي المتواضع المهتم بالرعية المقدر لنعمة جمع النبوة والحكمة والعلم والملك والسلطان له من ربه.

٤. الهدد:

والهدد من جملة جند سليمان من الطير، وقد كان له دور عظيم في تقصي أخبار مملكة سبأ، والقيام بدور المخابرات، والاتصالات، بل وقد قام بالاحتساب حين أنكر عبادة أهل سبأ للشمس من دون الله. ويمثل الهدد أحد الجنود المدركين لطبيعة مملكة سليمان وأنها مملكة توحيد ودعوة، وأحد الرعية المخلصين في خدمة المملكة في جميع مجالات التكليف المتفقة مع قدراته، كما يمثل

الروح التي ينبغي أن يكون عليها جنود الحق من حمل راية التوحيد وإنكار الشرك والكفر بكافة صورته.

ثانياً: الأشياء:

قال تعالى على لسان سليمان: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦]، قال البغوي: من كل شيء يؤتاه الأنبياء والملوك من أمر الدنيا والآخرة^{٧٤}. وقال الطبري: أعطينا ووهب لنا من كل شيء من الخيرات^{٧٥}. وقال الهدد عن ملكة سبأ: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣]. ومن الأشياء التي مثلت شواهد لمكونات الدولة المادية في قصة سليمان:

١. الموارد الطبيعية المسخرة:
ومن هذه الموارد الظاهرة في القصة:
- الريح المسخرة التي تحمل الغيث إلى الحرث، وتحمل الملك والجند، وتدمر وتعصف بأمر سليمان. قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَظْرِ وَمِنَ الْجَبِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ يُدْخِلُ رِيحَهُ مِنْهُمُ عَنْ أَمْرِنَا نُدْفِعُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢]، وقال سبحانه: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٦]. وتمثل الريح في دولة سليمان عليه السلام الطاقة التي تحرك المركبات، وأداة الري التي تسقي الحقول والزراعات، وسلاح الطيران الذي يدمر خطوط العدو وموارده.
- عين القطر: قال سبحانه: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَظْرِ وَمِنَ الْجَبِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ يُدْخِلُ رِيحَهُ مِنْهُمُ عَنْ أَمْرِنَا نُدْفِعُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢]، والقطر هو النحاس، وقال الخليل: النحاس المذاب^{٧٦}، وتمثل عين القطر المعادن التي هي أساس الصناعة، فالمعدن بما له من قوة التحمل، وإمكانية التشكيل، يمثل صناعة أساسية ترفد غيرها من الصناعات بالآلات والمعدات، وتمثل عمود العدد والعتاد العسكري، وبهذا يسهم توفر المعادن في تشكل قاعدة عريضة من الصناعات توفر فرص العمل، وتحقيق الرفاه للمجتمع، وتؤسس للتقدم في الآلة المدنية والحربية والإنشاءات النوعية.
٢. المنشآت العظيمة والشواهد المادية الجسيمة:
وقصة سليمان مليئة بشواهد الحضارة المادية؛ منها:
- عرش ملكة سبأ: وصف الهدد لسليمان عليه السلام عرش ملكة سبأ بأنه عرش عظيم، وهذا يدل على توفر الموارد وغنى المملكة، ويعزز هذا المعنى إخبار الهدد بأنها أوتيت من كل شيء؛ قال سبحانه على لسانه: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣].
- الصرح: ووصف الصرح ينم عن منشأة غاية في الإبداع والروعة، يتمثل فيها حذق الصانع وبراعتهم، واستغلال الموارد والمعارف، حتى إن ملكة سبأ الغنية المترفة ثابت إلى الرشد من روعة جماله، وحسبت الزجاج الممرد من تحتها ماء حتى خافت أن تتبل ثيابها، فكشفت عن ساقها؛ قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

^{٧٤} البغوي، مصدر سابق، ج ٦، ص ١٤٦-١٤٩.

^{٧٥} الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مصدر سابق، ج ١٩، ص ٤٣٨.

^{٧٦} القرطبي، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٢٦٨.

- المحاريب: هي البناء الحسن، وأشرف شيء في المسكن صدره. وقيل: البنيان الذي دون القصور، أو المساجد، أو المساجد والقصور، أو المساكن^{٧٧}. وقد كان يعملها لسليمان الجن، وهي تمثل ما يعرف بمشاريع الإسكان الحديثة، والتي هي أساس في استقرار السكان، وتوفير المأوى المانع من الحر والقر، المشير إلى رفاهية المملكة وأهلها.
- التماثيل: هي الصُورَةُ المُمَثَّلَةُ، أي المَجَسَّمَةُ^{٧٨}، وقيل: كانت من زجاج ونحاس ورخام تماثيل أشياء ليست بحيوان^{٧٩}، ومنها النقوش التي تكون على المساكن ودور العبادة، وغيرها، وجميع ذلك شواهد على نوعية الحياة التي يعيشها أهل المملكة، والخدمات المتوفرة للرعية.
- الجفان التي هي كالجواب: الجفنة هي القصعة التي يؤكل فيها، والجواب أصلها الجوابي، واحدها جابية، وهي الحوض العظيم الكبير الذي يجبى فيه الشيء أي: يجمع، وقيل واحدها جوبة، أي الحفرة الكبيرة تكون في الجبل يجتمع فيها ماء المطر^{٨٠}؛ وكل ذلك يدل على معنى واحد وهو: عظم الحجم وكبره. وهو يشير إلى انبساط الخير، وتوفير النعمة، ورغد العيش، وكفاية الرعية من أساسيات الحياة، وتدل على كرم الراعي، وأنه لا يدخر الخير لنفسه، بل يبذله للناس بما يسد حاجتهم، ويكفيهم عن آخرهم.
- القدور الراسيات: والقدر آلة صنع الطعام، والراسيات: المستقرات الثابتة في أماكنها لعظم حجمها، فلا يمكن تحريكها^{٨١}. وتدل على كثرة الطعام، وتوفره، وحسن صناعته، إذ القدر من خير أواني الطبخ التي تضمن تجانسها وتساهيها في اكتساب الحرارة والنضج.
- الجنان: وقد ورد ذكرها في تقرير ما كان لدى سبأ من النعمة بعد ذكر سليمان عليه السلام في سورة سبأ: قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةً طَيِّبَةً رَبَّ غَمُورٍ﴾ [سبأ: ١٥]، فالجنتان تمثلان المشاريع الزراعية التي تحقق الأمن الغذائي، والصادرات النباتية، كما تمثلان نوعية حياة مترفة مريحة، فعبّر عنها سبحانه بالجنان لما فيها من جمال المنظر، وحسن الريح، وطيب الثمر.

المطلب الثالث: الأرض:

تعتبر الأرض أهم المكونات المادية للدولة، وعنصر أساس من عناصر الدولة، فإذا انعدمت الأرض انعدمت الدولة، ولا يتصور وجود دولة بدون أرض^{٨٢}. ولذلك فقد عرّف بعضهم الدولة باعتبارها الأرض التي تتوافر فيها الموارد والسكان والحكومة والسيادة بشكل يحقق الكفاية والاستقلالية^{٨٣}. وقد أشارت الآيات القرآنية التي تحكي قصة سليمان عليه السلام إلى دور الأرض كمكون أساس من مكونات الدولة؛ من عدة نواح:

أولاً: الأرض مصدر للموارد والثروات الاقتصادية:

إن الأرض غنية بالموارد والثروات الاقتصادية؛ مثل: المياه والتربة الصالحة والمعادن كما أنها مصدر للقوى العاملة؛ فتوفر المياه والتربة الصالحة: الزرع والثمار، والمراعي والأشجار، فيتحقق بذلك وفرة الطعام، والكفاية من المون، والرفاه الاجتماعي. وقد جعل داود عليه السلام خليفة في الأرض؛ قال تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ

^{٧٧} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج ٦، ص ٦٠٠.

^{٧٨} الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ج ٢٢، ص ١٦٢.

^{٧٩} القرطبي، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٢٧٢.

^{٨٠} المصدر السابق، ج ١٤، ص ٢٧٥.

^{٨١} الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم الشيعي، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ، ج ٣، ص ٤٤٤.

^{٨٢} قحطان أحمد سليمان الحمداني، الأساس في العلوم السياسية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٤م، ص ١٩٥.

^{٨٣} صايل زكي الخطابية، مدخل إلى علم السياسة، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٠م، ص ١٣٥-١٣٦.

سَبِيلَ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا الْحِسَابَ ﴿ص: ٢٦﴾، فورث سليمان ملكه ونبوته، قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْثِنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦]، فدانت له الأرض؛ قال البغوي: (وأعطي سليمان ما أعطي داود من الملك، وزيد له تسخير الريح وتسخير الشياطين. قال مقاتل: كان سليمان أعظم ملكاً من داود وأقضى منه، وكان داود أشد تعبدًا من سليمان، وكان سليمان شاكراً لنعم الله تعالى)^{٨٤}، وليس أدل على وفرة الخيرات الظاهرة والباطنة في مملكة سليمان من استخدام الأواني الضخمة العظيمة لتقديم الطعام وطبخه؛ قال سبحانه: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]. فالماء، الذي هو أساس حياة الناس سقاية وزراعة ورعيًا، قد توفر كأحسن ما تكون الوفرة في دولة سليمان عليه السلام، فقد سخر الله سبحانه وتعالى لسليمان الريح تسير رخاء بالخير حيث أراد وأحب؛ قال سبحانه: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٦]، فتجوب الريح الأرض وتلقح الأشجار، وتطرح البذور، وتنزل الغيث فتسقي الحرث والنسل، وتأتي بالرزق؛ كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ [غافر: ١٣]. وتربة المملكة تربة مباركة؛ قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١]. ومن الموارد التي توفرها الأرض: الثروة المعدنية والنفائس؛ ومملكة سليمان كانت غنية بالثروات المعدنية كالحديد والنحاس؛ وقد أشار القرآن إلى تمكين داود عليه السلام من تشكيل الحديد، حيث ألانه له سبحانه وعلمه صناعة الدروع، وقد ورث سليمان داود كما بينت سورة النمل، كما إن سليمان قد أسأل الله له عين القطر وهو النحاس؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنْ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوْحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَاطِرِ وَمِنَ الْجَبْرِ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَرِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٠ - ١٢]، أما النفائس فإن الشياطين التي سخرها الله لسليمان عليه السلام كانت تغوص وتحضرها له ضمن أعمالها^{٨٥}؛ قال تعالى: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٢]. ومن الموارد التي توفرها الأرض للدولة: القوة العاملة؛ فالدولة تحتاج إلى جيش يدافع عنها ويقر سلطانها وينفذ سياستها، كما تحتاج إلى عمال يبنون حضارتها، ويستخرجون معادنها ونفائسها، ويستثمرون تربتها وماءها في الزراعة وتربية الأنعام؛ قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِبْرِ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧] ولا يحشر الجنود من كل نوع وصنف -خاصة الإنس والوحوش- إلا إذا كانوا من أرض تابعة للملك، وهذا يدل على أن مملكة سليمان كانت واسعة الأرجاء؛ وقد روى الطبري في التفسير بسنده عن محمد بن كعب، قال: "بلغنا أن سليمان كان عسكره مائة فرسخ: خمسة وعشرون منها للإنس، وخمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للوحش، وخمسة وعشرون للطير"^{٨٦}. وقال تعالى: ﴿وَالشَّيَاطِينِ كُلِّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ﴾ [ص: ٣٧]، يظهر من أولئك أصحاب القدرات العظيمة والعلوم المفيدة، كما ظهر في أهل شوري سليمان حين بحث عن وسيلة تأتية بعرش ملكة سبأ أسرع ما يكون؛ قال تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِبْرِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ

^{٨٤} البغوي، مصدر سابق، ج ٦، ص ١٤٨.^{٨٥} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج ٥، ص ٣٥٩.^{٨٦} الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مصدر سابق، ج ١٩، ص ٤٣٧.

قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ [النمل: ٣٩ - ٤٠]

- مما سبق يظهر أن أهمية الأرض في أنها مصدر للموارد والثروة الاقتصادية تتمثل في الآتي:
١. الكفاية الاقتصادية؛ بوفرة الطعام والكساء والمساكن والمزارع والمراعي والثروات والمواد الخام اللازمة للصناعة والبناء وغيرها.
 ٢. الاستقلال السياسي؛ فلا تطمع دولة أخرى في الإملاء أو الإغراء باستغلال الحاجات الاقتصادية أو غيرها من الحاجات؛ قال سليمان عليه السلام لرسول ملكة سبأ الذين جاؤوه بهديتها مستنكرًا: ﴿لَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النمل: ٣٦]، فلكثرة ما أوتي وعظمته كانت هديتهم عنده وعند من معه بخسة لا قيمة لها مع كون ملكة سبأ ظنتها مما تسقط دونها العزائم.
 ٣. توفير القوة العاملة؛ في الجيوش والتعدين والزراعة والبناء والتشييد وكافة المجالات. والكثرة السكانية مع المساحة الواسعة تؤدي إلى قيام دول عظمى وكبرى.^{٨٧}

ثانيًا: الأرض إطار للسيادة والسلطة السياسية:

تمثل الأرض رقعة الصلاحية السياسية في إدارة شؤون الدولة، ومكان قرار السلطان والرعية، وحدود النظم والقوانين التي تحكم المجتمع. والدول تتنافس على الأرض لغايتين: الأولى: الاستفادة مما فيها من الثروات الاقتصادية المختلفة لتحقيق القوة المادية، والرفاهية الاجتماعية، ولو لصالح طائفة من الناس محدودة. الثانية: تطبيق تصوراتها الفكرية لتنظيم الحياة بما يكفل السلام والطمأنينة والعدل والاستقرار السياسي والاجتماعي.

وفي قصة سليمان القرآنية دلالات عديدة على هذا المعنى؛ ومن ذلك ما قالته ملكة سبأ، ووافقها عليه القرآن: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَاجَ أَهْلِهَا أُذَلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤]، فدخل دولة في أرض دولة أخرى مؤذن بفقدان الثانية لسيادتها وسلطتها السياسية، وهذا يؤذن بتغيير النظام الاجتماعي. ولا يتصور وجود دولة ذات سيادة بدون أرض، فذلك معناه عدم وجودها فعلياً، واحتياجها للحماية والمأوى، وارتهاؤها لمن يؤيها ويحميها وينفق عليها. وبدون التمكين في الأرض لا تستطيع دولة إقامة تصوراتها على أرض الواقع، لذلك سعى سليمان عليه السلام لتحقيق خضوع مملكة سبأ له، لا لأجل القهر والتتكيل، وإنما لفتح الطريق لإظهار الهدى والدين الحق ليتبعه الخلق لما يرون حقيقته وحسنه. وقد فكر سليمان عليه السلام في إخضاع مملكة سبأ بعد أن نما إلى علمه أنهم قوم يعبدون الشمس من دون الله، وما غزاهم ابتداء ليغير بالقوة نظامهم السياسي والاجتماعي لأنه قصد تغيير التصورات والفكر لا الهيئات. لذلك اجتهد في هداية ملكتهم فإن الناس تبع لملوكهم؛ فنكر لها عرشها ليربها هوان ما كان في ناظرها قمة الأبهة والفخامة، وأدخلها الصرح الذي تشبه أرضيته الزجاجية من صقلها الماء، فبهرها أشد الإبهار، وصددها صدمة حضارية عظيمة أثابتها إلى رشدها، ودلتها إلى الحق فأسلمت وأمنت واقتدت بسليمان عليه السلام؛ قال تعالى: ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرُ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ (٤١) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٤٣) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤١ - ٤٤]. إن مقصد الملوك أهل الصلاح من احتياز الأرض ليس بسبب كنز أو استجلاب أو استخراج مواردها وخيراتها، بل من أجل هداية البشر الذين يقطنونها، وإظهار شرع الله فيهم ليتحقق عندهم قناعة بفضل الشرع الرباني على سائر

^{٨٧} قطان أحمد سليمان الحمداني، مرجع سابق، ص ١٩٥-١٩٧.

الشرائع، وخير الدعوة الإسلامية على سائر الدعوات. وقد قال تعالى عن أهل الصلاح: ﴿الَّذِينَ إِذَا مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

لكن لا تتحقق السيادة والسلطة السياسية على الأرض إلا من خلال القدرة على التوجيه، والهيمنة على القرار، وإنفاذ الإرادة على سائر من يعمرها؛ فلا يتجاسر أحد على العصيان، ولا يقدر أحد على الطغيان؛ كما قال سبحانه عن سليمان يصف ملكه: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٢]، قال ابن كثير في معنى حفظه لهم سبحانه: "يحرسه الله أن يناله أحد من الشياطين بسوء، بل كل في قبضته وتحت قهره لا يتجاسر أحد منهم على الدنو إليه والقرب منه، بل هو مُحَكَّمٌ فيهم، إن شاء أطلق، وإن شاء حبس منهم من يشاء"^{٨٨}.

مما سبق يظهر أن أهمية الأرض كإطار للسيادة والسلطة السياسية تتمثل في الآتي:

- ١- الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي.
- ٢- مجال للتوجيه ونشر الفكر وإقامة الشعائر وإنفاذ الشرائع.

ثالثاً: الأرض مصدر للمسؤولية:

إن التمكين في الأرض يقتضي مسؤوليات جسيمة وواجبات عظيمة؛ كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]. وقد أخبر ربنا سبحانه داود عليه السلام بتبعة الخلافة في الأرض، فقال تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦]، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عن ذي القرنين الذي مكن الله له في الأرض، فأخذ على عاتقه التفريق بين المحسن والظالم في الحكم، وإقامة العدل بين الناس؛ قال سبحانه حكاية عنه: ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَّكَرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: ٨٧ - ٨٨]، وأخذ على عاتقه الحولة بين الضعفة المستجدين به والجبارين الظالمين، فسخر ما أوتي من العلوم والإدارة لأجل هذه المهمة حتى أنجزها ولم يأخذ عليه خراجاً قضاء لحوائج أهل الأمصار وحفظاً لضرورياتهم، دون من ولا أدنى؛ قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَا دَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) أَتُونِي زُرَّاءَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٣ - ٩٨]، وهذا إحساس عال بالمسؤولية أفضى به لأن يكل الفضل كله لله. فقام بمسؤوليته خير قيام مع أنه قد رفع الله عنه تبعة التصرف، فأقام العدل، وحال بين المستضعفين والظلمة بالسد، ولذلك رفع الله ذكره.

وسليمان كان كذي القرنين في ذلك؛ فإن الله مع ما أعطاه من تسخير الريح وسائر النعم قال له: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩]، ومما يظهر قيام سليمان عليه السلام بمسؤولية التمكين دعوته لأهل سبأ للهداية واجتهاده في ذلك حتى أسلمت ملكتهم كما سبق بيانه. ومن ذلك اهتمامه بوزع الجند كي لا يطغى على الشرفاء، ولا يؤذي الضعفاء؛ قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِبِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧]، ويظهر ذلك كذلك مما فرضه على الجن

^{٨٨} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج ٥، ص ٣٥٩.

والشياطين من الانضباط حتى إن الذي يخل بالنظام أو يتقلت ينكل به أشد التنكيل بين العذاب والحس؛ قال سبحانه: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِبِّ مِّنْ يَّعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذِ ابْنُ رَبِّهِ وَمَنْ يَّرِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢]، وقال سبحانه: ﴿وَالشَّيَاطِينُ كُلٌّ بَنَاءٌ وَغَوَاصٍ (٣٧) وَأَخْرَيْنَ مُفَرِّجِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [ص: ٣٧ - ٣٨]، بل لقد اهتم عليه السلام بهذه المسؤولية حتى إنه سمع أضعف المخلوقات، وأجارها مما تخاف؛ قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ مَلَكَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٨ - ١٩]، فانحاز بجيشه عن مساكنها. ولعلم النملة بقيام سليمان برعاية مسؤوليته تجاه الخلق جاء خوفها من باب ظننها عدم تفتنه لوجودهم، فقالت هذه العبارة العجيبة: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

إن لازم التمكين في الأرض مسؤولية إقامة الشعائر وإنفاذ الشرائع، وإحقاق الحق، ومنع الظلم، وغير ذلك من الواجبات، وهي مسؤولية عظيمة لا بد من استشعارها والقيام بحققها على أتم وجه، وإلا حل الشر والضياح؛ قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦].

الخاتمة

أولاً النتائج:

١. الأساس الذي تقوم عليه الدولة في الإسلام هو الإيمان بالله تعالى وتفويض الأمور كلها إليه سبحانه، والإقرار بأن كل نعمة هي منه سبحانه.
٢. حشد الجنود وإعدادهم هو الأساس الثاني الذي تهدف إليه الدولة من خلال التنظيم الدقيق والتنوع الهادف وتربية الجنود على الأمانة والنزاهة والحيطة.
٣. عدم المساومة في الدعوة إلى الله عز وجل والركون إلى عرض الدنيا ونعيمها، فليس دعاة الإسلام، وهم حملة الرسالة الإسلامية الشريفة، يبيعون دينهم بثمن بخس.
٤. إقرار مبدأ الشورى في الحكم مع الأخذ بالعلم في الحقائق التي تضيء على الدولة لونا من الرقي والازدهار والمنعة والولاء.
٥. ولاء الجنود وطاعتهم في الاستجابة لتعاليم الرسالة والانقياد للقائد المسلم وتنفيذ ما يطلب منهم.
٦. ضرورة التمكن من الأرض والسيطرة عليها لتصبح نقطة الانطلاق للفتوحات الإسلامية ولدعوة الناس إلى دين الله تعالى.
٧. إبراز القوة مقرونة بالأمانة وموصولة بالإيمان بالله تعالى.
٨. ضرورة الترابط بين المنهج العلمي الرصين، ومنهج القوة لحماية الدولة من الانهيار والمجتمع من الذوبان.

ثانياً: التوصيات:

١. ضرورة التخطيط للدعوة والدولة في الإسلام على البعدين الزماني والمكاني على الأسس العلمية التي يذخر بها كتاب الله تعالى.
٢. إعادة الكتابة في الدولة ومؤسساتها من خلال النظرة الإسلامية الموصولة بالنظر في آيات القرآن الكريم وسوره.
٣. صياغة خطة للبحث العلمي تقوم على التأصيل الإسلامي في مسائل السياسة الشرعية، خاصة في قضايا الدولة وتكويناتها المختلفة.

٤. تخصيص محاضرات في مادة الدعوة الإسلامية في مختلف المراحل الدراسية، ووضع مناهجها على ضوء القرآن الكريم بالتركيز على قصص الأنبياء والأمثال والمواعظ ومختلف ضروب البيان.
٥. ربط العلوم الكونية المختلفة بالأصل الإيماني كما درج عليه سلف الأمة، حيث كانوا رواداً في كل علم وتخصص.
٦. إعداد القيادات الفكرية والسياسية على الأسس الأخلاقية القائمة على الكتاب والسنة كما هو الحال في السور المكية المتمثلة في أخلاق الأنبياء والملوك.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر والمراجع العربية:

١. ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن أسحق، إصلاح المنطق، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥.
٢. ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، أحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٣. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي، المخصص، دار الكتب العلمية، القاهرة، دت.
٤. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، دار الفكر العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ.
٥. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٦. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، قصص الأنبياء، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٧. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥م.
٨. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٤.
٩. أبو الأعلى المودودي، نظرية الإسلام وهدية في السياسة والقانون والدستور، دار صادر، بيروت، دت.
١٠. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، البحر المحیط، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٨٣م.
١١. البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، دار طيبة، الرياض، ط٤، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
١٢. الجوهري، الحسن بن علي بن محمد، الصحاح في اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، دت.
١٣. حسن السيد بسبوني، الدولة ونظام الحكم في الإسلام، الدار العلمية للكتب، القاهرة، دت.
١٤. الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم الشيعي، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
١٥. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠١٢م/١٤٣٣هـ.
١٦. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، دت.
١٧. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.
١٨. الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر بن محمد، الكشف، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
١٩. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط٣٠، ١٩٩٥م.
٢٠. الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، دار الفكر العربي، بيروت، دت.
٢١. الشيخ الأمين محمد عوض الله، السيرة النبوية، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٢٢. صايل زكي الخطابية، مدخل إلى علم السياسة، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٠م.
٢٣. صلاح عبد البديع شلبي، إقليم الدولة في الفكر الإسلامي والقانون الدولي، الدار العلمية للكتب، القاهرة، ط١، ١٩٧٦.
٢٤. الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، دت.
٢٥. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، دار التراث، ط٢، ١٣٨٧هـ.
٢٦. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٢٧. عبد الرب نواب الدين آل نواب، الدعوة إلى الله تعالى، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٠م.
٢٨. عبد الكريم زيدان، أحكام الذميين والمستأمنين، دار ابن بیضون، القاهرة، ط١، ١٩٨٠.
٢٩. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، دار الفكر العربي، بيروت، دت.
٣٠. قحطان أحمد سليمان الحمداني، الأساس في العلوم السياسية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٤م.
٣١. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
٣٢. لؤي صافي، العقيدة والسياسة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن (الولايات المتحدة)، ١٩٩٦م.
٣٣. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن بن حبيب البصري البغدادي، الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.
٣٤. محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة دنديس، الأردن، دت.
٣٥. محمد كامل ليلة، المبادئ الدستورية العامة والنظم السياسية، دار الفكر العربي، القاهرة، دت.
٣٦. محمد يوسف موسى، نظام الحكم في الإسلام، الدار الحديثة للكتب، بيروت، دت.
٣٧. مدني عبد القادر علاقي، الإدارة: دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية، ط٩، جدة: مكتبة دار جدة، ٢٠٠٠.